نظرية التصميم الذكي
بين القبول والرفض
دراسة تحليلية نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

Intelligent Design Theory
Between acceptance and rejection
A critical analytical Study in the Light of the Islamic Creed

الدكتور
أحمد شوقي إبراهيم علي عبدالله
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
جامعة الأزهر

الكلمات المفتاحية: التصميم الذكي/ المصمم الذكي/ دليل النظم/ دليل الغائية/ دليل العناية/ نظرية الخلقية/ التطور/ الداروينية/ المصادفة/ الإلحاد/ نشأة الخلق.

***Key words**: Intelligent design / Intelligent designer/ Creativity theory / Evolution / Darwinism / Coincidence / Atheism / Genesis of creation.*

الملخص: يُعد الاستدلال على وجود خالق مدبر للكون بما في الكون من العناية والنظام والغائية من أقدم وأوضح الأدلة التي استخدمت في الاستدلال على وجود الله على مر العصور.

وامتدادًا للصراع التاريخي بين القائلين بالغائية في الكون، والفكر المادي الطبيعي اللاغائي، ظهرت في عصرنا الحالي نظرية تسمى "التصميم الذكي"، يقف خلفها مجموعة من علماء الطبيعة في مجالات معرفية متنوعة، جزمت بوجود خصائص وملامح في الكون لا يمكن تفسيرها إلا بوجود ما أسموه بـ "مصمم ذكي"، مع تجنب أنصارها الحديث عن هذا المصمم، ونفيهم الربط بين نظريتهم ونظرية الخَلْقية، ويقدمون نظريتهم على أنها تنبني على أدلة علمية تجريبية، وأنها لا تحتكم إلى أي مرجعية دينية.

وتمثل نظرية التصميم الذكي في الغرب الجبهة المضادة لفرضية التطور التي تستند إلى عمليات طبيعية عشوائية عمياء (الانتخاب الطبيعي) في تفسير ظهور الأنواع والأجناس في هذا الكون.

وقد اعتنت هذه الدراسة ببيان: مفهوم نظرية التصميم الذكي، ونشأتها، وأدلتها، مع بيان جذور فكرة التصميم في الفلسفة الغربية (الغائية والنظم)، والاعتراضات التي أثيرت عليها، وأهم الاعتراضات التي أثارها الدراونة على نظرية التصميم الذكي، ثم ختمت الدراسة بالحديث عن نظرية التصميم الذكي في ضوء العقيدة الإسلامية.

Abstract: *Inferring the existence of a creator orchestrator of the universe, including care, order, and finality, is one of the oldest and clearest evidences that have been used in inferring the existence of God throughout the .ages*

And as an extension of the historical conflict between those who say teleology in the universe, and the non-natural, naturalistic thought, a theory called "intelligent design" has appeared in our current era, behind which a group of naturalists in various fields of knowledge stand behind it, which asserted that there are characteristics and features in the universe that can only be explained by the existence of what they called An "intelligent designer", while its supporters avoided talking about this designer, denying the link between their theory and the theory of morality, and presenting

their theory as based on experimental scientific evidence, and that it does not refer to any .religious reference

The theory of intelligent design in the West represents the counter-front to the hypothesis of evolution, which is based on blind random natural processes (natural selection) in explaining the .emergence of species and races in this universe

This study has taken care of a statement: the concept of intelligent design theory, its origins, and its evidence, with an explanation of the roots of the idea of design in Western philosophy (teleology and systems), the objections raised to it, and the most important objections raised by Darna on the theory of intelligent design, then the study concluded by talking about design theory Intelligent in light of the Islamic Creed

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيباً مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وقائد الغرِّ الميامين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

و بَعْدُ:

فإن قضية وجود الله من القضايا الأساسية التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم، فهي قضية محورية ترتبط بها مصائر الأفراد والأمم، فهناك أسئلة وجودية فطرية تشغل كل إنسان حتى يجد الإجابة عليها، وهي من أنا؟ ومن أين أتيت؟ ولماذا أنا هنا؟ وإلى أين المصير؟

لذا تعددت مناهج المفكرين في الاستدلال على وجوده تعالى، واختلفت أساليبهم وتغايرت أدلتهم وبراهينهم على مر العصور، فالطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق.

ومن أهم وأقدم وأوضح الأدلة على إثبات وجود الله وأكثرها شيوعًا بين المفكرين ما يطلق عليه دليل النظم، أو النظام، أو العناية، أو الإتقان، أو الإحكام، أو الغائية، أو التدبير، أو التصميم ... وغيرها

ورغم تعدد الأسماء المعبرة عن هذا الدليل، وإن تنوعت أوجه الدلالة تبعًا لتلك الأسماء، فإنها في الحقيقة تؤول إلى معنى واحد.

هو الاستدلال على مافي الكون من النظام والعناية والغائية والتصميم، على وجود خالق عليم حكيم.

فالكون شديد الإتقان والإحكام والتصميم المذهل، وتم ضبطه ليكون مناسبًا لحياة المخلوقات، ولو كان على هيئة أخرى أو اختل مقدار ضئيل من الدقة التي عليها، لما كان صالحًا للحياة.

والعاقل إذا تأمل الكون من حوله بطريقة صحيحة، وجد بعد تدبر وتفكر أن هذا الكون ملائم لحياة المخلوقات، هذا التلاؤم لا يمكن أن يوجد بلا تدبير مدبر قاصد وجوده على هذا الوجه، لاستحالة وجوده هكذا مصادفة أو بالطبيعة العمياء.

ولقد استخدم القرآن الكريم وغيره من الكتب المقدسة كالتوارة والإنجيل هذا الدليل، واحتل مكانة كبيرة في كتابات علماء الإسلام وعند الغربيين، إذ قلما يخلو كتاب من الكتب المعنية بهذا الشأن إلا وتجد لهذا الدليل حضورا كبيرًا في كتاباتهم، وذلك لما يتمتع به هذا الدليل من القرب من الفطرة السوية والعقول السليمة، كما أنه يعتمد على الواقع المشاهد المحسوس.

وفي عصرنا الحالي ظهرت نظرية غربية تسمى: "**نظرية التصميم الذكي**" تعتمد بشكل كبير على هذا الدليل، **غير أنها تُقدم على أنها تنبني على مقدمات علمية تجريبية، ولا تحتكم إلى أي مرجعية دينية أو فلسفية خالصة، مع تجنب المنظرين لها الحديث عن المصمم وصفاته بحجة أن تحديد المصمم أمر يخرج عن قدرة العلم.**

وتنبني نظرية التصميم الذكي على: الضبط الدقيق للكون(الأنثروبي)، ووجود أنظمة معقدة مُصممة تصميمًا غير قابل

للاختزال، ووجود تعقيدات متخصصة دقيقة تُظهر توافق الكون بدقة متناهية.

وتمثل نظرية التصميم الذكي في الغرب **الجبهة المضادة** لفرضية التطور، وذلك ضمن حلقة حلقات الصراع بين الفكر المادي الطبيعي ممثلًا في الداروينية، وبين من يؤمن بالغائية في الكون.

فوفقًا للنظرة الداروينية فإن كل ما نراه من التصميم والتنظيم والتعقيد في الكون مجرد نتيجة عمليات عشوائية عمياء (الانتخاب الطبيعي).

من هنا تأتي نظرية التصميم الذكي لتنفي مزاعم الدراونة ولتثبت أن التصميم المسيطر على الكون قد رتب لغاية وهدف.

وبعض المنظرين للتصميم الذكي يرى أن نظرية التصميم الذكي لا تتحدى فكرة التطور؛ والتي يتم تعريفها بالتغير التدريجي عبر الزمن، أو وجود السلف المشترك للكائنات الحية، ولكنها **تخالف** فكرة داروين بأن السبب المنتج للتغير البيولوجي هو عملية عشوائية عمياء غير موجهة؛ فهناك آليات طبيعية بحتة -أي بدون توجيه ذكي أو تصميم- هي سبب التغيرات الكبرى في تاريخ الحياة.

ويسلم بعض المنظرين للتصميم الذكي بأصل نظرية التطور مع بيان عجز التطور عن تفسير بعض الظواهر التي يستحيل أن توجد بالانتخاب الطبيعي؛ كالبنى المعقدة غير القابلة للإختزال، فهنالك أنظمة

بيولوجية (حيوية) شديدة التعقيد، مكونة من أجزاء مترابطة بحيث لا يمكن توقع إنشاؤها تدريجيًا وعبر خطوات بسيطة، ولكي تعمل هذه الأنظمة لا بد أن تتواجد جميع أركانها وأجزائها، وإلا فلن تتمكن هذه الأنظمة من العمل.

وذلك مثل الخلية الحية؛ فأي خلل ولو بسيط فيها يؤدي إلى فقدها لمهامها الوظيفية، ولقد كانت الخلية أيام داروين تبدو تحت الميكرسكوب كقطرة من مادة جيلاتينية ولم يكن يدرك شيئًا عن تعقيدها المذهل، فأبسط الخلايا تشكل آلية أعقد بكثير من أي آله صنعها الإنسان.

لذا يؤكد مؤيدو "التصميم الذكي" أن الانتخاب الطبيعي لا يمكن أن يخلق أنظمة معقدة، لأن الوظيفة الناتجة بفعل الانتخاب الطبيعي تتواجد فقط عندما تكون كل الأجزاء مجمعة.

وبهذا تعجز الرؤية التطورية التدرجية التراكمية عن تفسير الظواهر، وتفسر نظرية التصميم الذكي خلق الأنواع الحية بأنه تم من قِبل مصمم ذكي.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون خطة دراسته على النحو التالي:

المقدمة: (أهمية الموضوع وخطة البحث)

الفصل الأول: مفهوم نظرية التصميم الذكي، ونشأتها، وأدلتها.

المبحث الأول: مفهوم التصميم الذكي.

المبحث الثاني: نشأة نظرية التصميم الذكي.

الفصل الرابع: أهم الاعتراضات التي أثارها الدراونة على نظرية التصميم الذكي.

الاعتراض الأول: التصميم الذكي يترتب عليه كثير من المشاكل.

الاعتراض الثاني: وجود عيوب في تصميم وتركيب الكائنات الحية.

الاعتراض الثالث: التصميم الذكي مظهر خادع لترويج نظرية الخَلْقية.

الاعتراض الرابع: أن الشواهد العلمية الهائلة التي تؤيد نظرية التطور تجعلها حقيقة علمية مفروغ منها لا يسوغ إنكارها.

الاعتراض الخامس: أن التصميم الذكي ليست البديل الوحيد لنظرية التطور.

خاتمة: **نظرية التصميم الذكي في ضوء العقيدة الإسلامية.**

د. أحمد شوقي إبراهيم علي عبدالله

الفصل الأول: مفهوم نظرية التصميم الذكي، ونشأتها، وأدلتها.

مدخل:

التدين وقبله الإقرار بوجود خالق للكون مدبر له، أمر فطري متجذر في النفوس، يشترك الناس فيه، على اختلاف أحوالهم وعلومهم وبيئاتهم، ولكن الفطرة قد تنحرف، مما تَلَقَّاه المرء من شياطين الإنس والجن، ومن بيئته، ومن قراءاته، ومن نظره على حسب ما يدله عقله وحسه، إلى غير ذلك.

والإلحاد الغربي المعاصر له سمات مختلفة عن الأنماط الإلحادية السابقة، فمع تكرار الإلحاد المعاصر لمقولات الملحدين السابقين، إلا أن الملمح الأبرز فيه هو اتخاذ العلم التجريبي مذهبًا شاملًا بمقدوره الإجابة على كل الأسئلة الوجودية التي حاول ومازال يحاول الإنسان الإجابة عليها؛ من نشأة الكون ووجود الإله إلى نشأة الإنسان ومصيره بل إلى وضع تصور كامل للمجتمعات البشرية اقتصاديًا واجتماعيًا وأخلاقيًا، وأن كل شيء يجب أن يخضع لقوانين الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا، مما يحوّل العلم من مجرد أداة محايدة إلى أيديولوجية تفرض نفسها.

وللمفارقة فإن هذه الوجهة العلمية لا تسمح إلا بوجودها فقط، مع إدعاء الاتصاف بالموضوعية، والاستقلال بمعرفة الحقيقة.

لكن يبقى هناك متشبثون ببقايا النبوات، منعتهم فطرتهم من هذه المادية البائسة، **يمكن أن يستفاد من نتاجهم** في نقد هذه الحالة الإلحادية الموغلة في المادية بعين الناقد أيضًا.

ومن بين تلك الاتجاهات التي يمكن أن يستفاد منها ما بات يُعرف **بحركة التصميم الذكي**؛ وهي حركة يقف خلفها مجموعة من علماء الطبيعة في مجالات معرفية متنوعة، جزمت بوجود خصائص وملامح في الكون والحياة لا يمكن تفسيرها إلا بوجود ما أسموه بمصمم ذكي، بغض النظر عن طبيعة هذا المصمم في حد ذاته، فالعلم الطبيعي بمقدوره الكشف عن وجود الصنعة المتقنة، والتي تستدعي وجود مصمم.

هذه الرؤية تتعارض مع المناخ السائد في المجتمع العلمي الحديث والذي يحصر مجال التفسير الطبيعي في عمليات طبيعية عمياء مع حكم مسبق بإلغاء أي احتمال لوجود إرادة تقف خلف مثل هذه الظواهر[1].

وتمثل حركة التصميم الذكي الأقلية العلمية المعارضة في مجتمع علمي واقع تحت سطوة وتأثير فرضية التطور، الفرضية الأخطر في التاريخ البشري الإنساني والتي تغولت وتوغلت في كافة مناحي الحالة

---

(١) انظر: مقدمة المترجم لكتاب العلم ودليل التصميم في الكون، مايكل بيهي، وليام ديمبسكي، ستيفن ماير، ترجمة رضا زيدان، دار تكوين بالرياض، ط١، ٢٠١٦م، ص ١١، ١٢.

الفكرية الغربية، فآلت الهوية الثقافية الغربية إلى أن تكون حداثة داروينية.

هذه الحركة يُنظر إليها بكثير من الشك والريبة وتواجه نقدًا شرسًا وخاصة من الملاحدة الذين يتبنون توجهًا معارضًا تمامًا في تفسير نشأة الكون والحياة، وهذا التوجه الإلحادي الذي يُصر على الدور الأكبر بل والشامل للصدفة في أصل الوجود كله وعشوائية النظام الكوني الذي ترتب على هذا النحو عن طريق الصدفة العمياء، وترفض كل تفسير قد يؤدي إلى إمكانية وجود إله مصمم باعتباره يتنافى مع القيم العلمية الصارمة!!.

يمثل **معهد ديسكفري**، وهو منظمة أمريكية غير ربحية مقرها سياتل بواشنطن، بالولايات المتحدة الأمريكية، القيادة الرئيسة لحركة التصميم الذكي وعلى الأخص مركز العلوم والثقافة الذي أسسه د.ستيفن ماير[1]، ويرى رواد الحركة أن المجتمع يعاني من "عواقب

(١) د.ستيفن سي. ماير: من مواليد سنة ١٩٥٨م، حصل على الدكتوراه من جامعة كامبريدج في فلسفة وتاريخ العلوم عام ١٩٩١م عن أطروحته "الأدلة والأسباب: التفسير المنهجي للبحث في أصل الحياة"، كان أستاذًا بكلية وايت ويرث بواشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعمل الآن مدير مركز الثقافة والعلوم التابع لمعهد ديسكفري، شارك في العديد من الكتب، ومن أشهر كتبه (كتاب شك داروين: النشوء المفاجئ لحياة الكائنات وحجة التصميم الذكي، وكتاب توقيع في الخلية: الدنا وأدلة التصميم الذكي)، وهو من الرواد المؤسسين

مدمرة حضاريا" بسبب تبني المادية التي تقود إلى الإلحاد، ويعتقدون أن نظرية التطور قد جعلت من الإنسان كائن مجوف بلا طبيعية روحية وليس له غرض أخلاقي ولا معنى جوهري[1].

لنظرية التصميم الذكي، انظر التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية، د.ستيفن ماير، ترجمة محمد طه، عبد الله أبو لوز، مركز براهين، ط١، ٢٠١٦م، ص٥، و: العلم ودليل التصميم في الكون، ص١٥، ١٦.

(١) راجع على شبكة الإنترنت: موقع معهد ديسكفري https://www.discovery.org/

شبكة التصميم الذكي: http://intelligentdesignnetwork.org/

موقع مستقبل التصميم الذكي، وهو مدونة علمية لنشر أبحاث ومناقشات علماء مركز العلوم والثقافة التابع لمعهد ديسكفري.

https://idthefuture.com/

المبحث الأول: مفهوم التصميم الذكي.

عرف د. ستيفن ماير نظرية التصميم الذكي بأنها: " نظرية علمية مبنية على الأدلة، تناقش أصل الحياة، وتتحدى بشكل واضح الرؤية المادية للتطور[1].

وتتصدى هذه النظرية لمفهوم نشأة الكائنات الحية، وتدور حول أن طبيعة هذه الكائنات وطبيعة الجزيئات التي تتكون منها تحتاج في نشأتها وفي بقائها وفي عملها إلى ذكاء وأنه لا يمكن للعشوائية أن تفسرها[2].

وترتكز النظرية على أن بعض الميزات في الكون والكائنات الحية لا يمكن تفسيرها إلا بمسبب ذكي، وليس بمسبب غير موجه كالانتخاب الطبيعي.

وقد تعرض الرياضي وليام ديمبسكي[3]، والأحيائي جوناثان ويلز[4]مؤلفا كتاب تصميم الحياة، لتفصيل المصطلحات المتعلقة بالنظرية

---

(١) التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية، د.ستيفن ماير، ص١٣.

(٢) انظر: لعبة الممكنات، بحث في تباين الحي، فرانسوا جاكوب، ترجمة أحمد صالح، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ص٢٥.

(٣) د.وليام ديمبسكي: من مواليد سنة ١٩٦٠م حاصل على الدكتوراه في الرياضيات من جامعة شيكاغو، ودكتوراه في الفلسفة من جامعة إلينويز في شيكاغو، وماجستير في اللاهوت من معهد برينستون اللاهوتي، من أحدث أعماله كتاب (التصميم الذكي، وكتاب دليل التصميم)، وهو مدير مركز مايكل بولاني في جامعة بايلور، وعضو في معهد ديسكفري، انظر: العلم ودليل التصميم في الكون، ص١٥.

(٤) د.جوناثان ويلز: من مواليد سنة ١٩٤٢م، يحمل شهادتي دكتوراه، الأولى: في الدراسات الدينية من جامعة يال عام ١٩٨٦م، والأخرى في البيولوجيا الجزيئية

كل على حده، فقالا:

التصميم: بنية أو حدث أو شيء افتقر في ظهوره إلى ذكاء طابق بين الوسائل وغاياتها .

الذكاء: كل سبب أو عامل أو عملية تحقق الغاية والهدف عبر توظيف الطرق أو الأدوات المناسبة .

التصميم الذكي: دراسة الأنماط الموجودة في الطبيعة، والتي تُفَسر بالشكل الأمثل عند اعتبارها صنعة قوة ذكية[1].

كما تعرضا لعدة مفاهيم تفيدنا في تصور مفهومهم للتصميم الذكي، وهي كما يلي:

- التصميم (ككينونة): حدث –غرض– بنية جاء بها الذكاء باستخدام وسائل معينة.
- **التصميم** (كعملية): عملية مؤلفة من أربع أجزاء يصنع فيها المصمم شيئا:

١–يضع المصمم الهدف.

والخلوية من جامعة كاليفورنيا عام ١٩٨٩م، يعمل الآن في مركز العلوم والثقافة التابع لمعهد ديسكفري في سياتل بواشنطن، ويعد من أشهر المنظرين عبر كتبه ومحاضراته عن نظرية التصميم الذكي، انظر: أيقونات التطور، علم أم خرافة، جوناثان ويلز، ترجمة د موسى إدريس، د.أحمد ماحي، د.محمد القاضي، دار الكاتب بالإسماعيلية مصر، ط١، ٢٠١٤م.

(١) انظر: تصميم الحياة، اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ترجمة د.مؤمن الحسن، د.محمد القاضي، د.موسي إدريس، دار الكاتب بالإسماعيلية مصر، ط١، ٢٠١٤م، ص٢٧.

٢- يضع المصمم خطة للوصول إلى ذلك الهدف.

٣- يحدد المصمم مواد البناء وتعليمات تجميعها لتنفيذ الخطة.

٤- يقوم المصمم أو أحد مساعديه بتطبيق تعليمات التجميع على مواد البناء. والذي يتنج يدعى الشيء المصمم، ويقاس نجاح المصمم بقدر تحقيق الغرض الناتج للهدف الذي وضع من أجله.

- **دلالة التصميم**: شكل من أشكال الدلالات التي تثبت نسبة الحدث أو الغرض أو البنية للمصمم أو للطرف الذكي، لكونها تظهر تعقيدا محددا، تقيس دلالة التصميم ما هو ممكن الحدوث بالآليات المعتمدة على الصدفة وما هو مستحيل الحدوث بالصدفة.

- **المصمم**: جوهر ذكي ينظم البنى المادية للوصول إلى هدف سواء كان هذا الجوهر شخصا أو غير ذلك، واعيا أو غير ذلك، جزءا من الطبيعة أو فوقها، يعمل بشكل معجز أو بالقوانين الفيزيائية المعروفة، فكل هذه الاحتمالات واردة في نظرية التصميم الذكي. تحديدا، لا يشترط في المصمم أن يكون خالقا.[1]

- **الخالق**: جوهر مباين للمادة خلق مادة العالم ونظمها، الخالق مصمم، لكن ليس كل مصمم خالق.

- **الخلق**: وجهة النظر التي تقول بأن الخالق جاء بالكون إلى الوجود ونظمه، وبخلاف النجار الذي يستخدم مواد موجودة سلفا

---

(١) انظر: تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص٣٩٤، ٣٩٥.

ويقوم بتنظيمها، فإن الخالق هو من أوجد هذه المواد، وبذلك يختلف الخلق عن التصميم، فالتصميم يصف بوضوح التنظيم الطارئ على المواد الموجودة ما قبل الحياة، في حين أن الخلق يصف موجدها الأزلي.

- **علم الخلق**: يعرف أيضا **بالخلقية العلمية** أو **مذهب الخلقية** وهو: وجهة النظر القائلة بأن خالقا أوجد الكون من العدم ونظمه.

وهو مقاربة لتفسير أصل تشكل العالم الطبيعي في محاولة لفهم البيانات العلمية على ضوء قصة الخلق الواردة في سفر التكوين من الكتاب المقدس، بخلاف التصميم الذكي الذي ينطلق من البيانات العلمية كالسجل الأحفوري والدنا(DNA)، يبدأ مذهب الخلق بافتراض صحة ما ورد في سفر التكوين تاريخيا وعلميا.

وهناك ست مبادئ رئيسة لعلم الخلق:

١- خلق الكون وخلقت الطاقة والحياة مرة واحدة فجأة من العدم.

٢- الانتخاب الطبيعي والتنوعات العشوائية غير كافيان للإتيان بكل الأنواع الحية انطلاقا من كائن واحد.

٣- تحدث التغيرات على النباتات والحيوانات المخلوقة أصلا بشكل محدود.

٤- ليس هناك سلفية مشتركة بين القرود والبشر.

٥- يمكن تفسير جيولوجيا الأرض بحدوث الطوفان الكارثي الذي غطى العالم.

٦- للأرض والكائنات الحية نشأة حديثة (قرابة عشرة آلاف سنة)[1].

وسوف يتعرض البحث لهذه المفاهيم بالدراسة والنقد.

---

(١) انظر: تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص٣٩٣، ٣٩٤.

المبحث الثاني: نشأة نظرية التصميم الذكي.

امتدادًا للجدل التاريخي بين القائلين بالغائية في الكون، والفكر المادي الطبيعي اللاغائي، شهد عصرنا الحالي الكثير من الجدل حول نشأة الحياة؛ هل هي عن طريق الخلق -أو عن نوع ما من التصميم الذكي-، أم عن طريق عمليات مادية غير موجهة، فيكون نظام الكون نظام مغلق من المادة والطاقة ليس له أي مدد من الخارج وتحكمه قوانين طبيعية صارمة لا ذكاء ورائها.

وقد دار ذلك الجدل في كتابات وأبحاث الأكاديميين، إلا أن ذلك الجدل لم يبق حبيس المحافل العلمية والأبحاث الأكاديمية بل انتقل إلى ساحة القضاء.

ففي عام ١٩٨٧م قضت المحكمة العليا للولايات المتحدة الأمريكية بعدم دستورية الخلقوية ومنع تعليم الخلقوية في المدارس العمومية في الولايات المتحدة"[1]، وقد رأت المحكمة أن الخلقوية تدافع عن فكرة الخالق **الخارق للطبيعة**، وبالتالي فهي تطرح استنتاجات ذات طابع ديني، وتقع خارج مجال العلوم التجريبية"[2].

---

(١) انظر: التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية، ستيفن ماير، ص١٠.

(٢) إعادة المحاكمة: القصة الخفية لقضية دوڤر، جون بول، د. مايكل بيهي، ترجمة: سارة بن عمر، ط١، ٢٠١٧م، ص٩، إعادة المحاكمة: الداروينية في قفص الاتهام، أحمد يحي، مركز براهين، ط٢، ٢٠١٦م، ص٣٢.

بعد ذلك ظهرت نظرية التصميم الذكي، كبديل علمي عن التطور الداروين، دون الاستناد إلى الكتاب المقدس والتصريح بذكر الإله، بل قدمت على أنها تنبني على مقدمات علمية تجريبية، ولا تحتكم إلى أي مرجعية دينية أو فلسفية خالصة.

ومنذ ذلك الحين أخذ التصميم الذكي في التنامي من اعتراضات صغيرة على التطور الداروين إلى برنامج فكري شامل لإعادة تصور البيولوجيا، وأن تكون ركيزتها الأساسية التدبير الذكي وليس القوى المادية العمياء.

"لكن الجدل حول نظرية التصميم الذكي المعاصرة، وتحديها الضمني لنظرية التطور التقليدية أصبح خبرًا جديدًا هامًا منذ عام ٢٠٠٤م، ٢٠٠٥م"[١].

ففي ديسمبر ٢٠٠٤، تصدر الفيلسوف البريطاني «أنتوني فلو»[٢] الأخبار في كافة أنحاء العالم عندما تخلى عن عقيدته الإلحادية التي لازمته

---

(١) توقيع في الخلية: الدنا وأدلة التصميم الذكي، د.ستيفن ماير، ترجمة: د.آلاء حسكي، د.أسامة إبراهيم، د.محمد القاضي، مهند التومي وآخرون، مركز براهين، ط١، ٢٠١٧م، ص١٠.

(٢) أنتوني جيرارد نيوتن فلو: فيلسوف بريطاني ولد بلندن (١٩٢٣-٢٠١٠م) وكان أستاذًا للفلسفة بجامعة كيل وجامعة كالجاري، اسم ذائع الصيت في مجالات الفكر والفلسفة والإلحاد والتدين وفلسفة الأديان، كان يعد بحق من أشرس ملاحدة العصر الحديث، فوجئ العالم في التاسع من ديسمبر ٢٠٠٤م بإعلان فلو - بعدما بلغ الثمانين من عمره – إيمانه بالله وقد أذاعت وكالة الأنباء الأسوشيتد برس الخبر بعنوان " ملحد شهير يؤمن بالله بدافع من الشواهد العلمية ـ أصدر فلو كتابا يشرح

طوال حياته، وقد كانت إحدى العوامل التي ساهمت في قراره دليل التصميم الذكي في جزيء الدنا(DNA).

وتلا ذلك محاولة إدارة "مدرسة منطقة دوڤر" بولاية "بنسيلفانيا" بالولايات المتحدة الأمريكية إعلام طلاب فصل البيولوجيا من خلال بيان يلقى على الطلاب في الفصل لمدة دقيقة، وفحواه أن نظرية التطور الدارويني ليست هي الوحيدة التي تتناول قضية نشأة الحياة وتنوعها، وأن هناك نظرية علمية أخرى تدعى "التصميم الذكي"، وأن من يريد التعرف على المزيد حول الأمر عليه مطالعة كتاب "الباندا والناس"[1] في مكتبة

فيه رحلته إلي الإيمان اسمه: هناك إله: كيف عدل أشرس ملحد عن الإلحاد، انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث (١٦٠١-١٩٧٧م)، رونالد سترومبرج، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، ط٣، ١٩٩٤م، ص١٩٦، و: رحلة عقل، وهكذا يقود العلم أشرس الملاحدة إلي الإيمان، د.عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠١١م، ص١٣.

(١) يعتبر كتاب "من الباندا والناس: المسألة الرئيسية بخصوص الأصل البيولوجي" أول كتاب استعمل مصطلح "التصميم الذكي" بشكل منهجي، للكاتبين بيرسيفال ديفيس و دين كينيون بإشراف تشارلز ثاكستون، وقد نشر في ١٩٨٩م من قبل مؤسسة الفكر والأخلاق، ويتبنى الكتاب فكرة التصميم الذكي، ويعرضها كبديل علمي عن التطور الدارويني، ويعرض مختلف الحجج ضد نظرية التطور دون الاستناد إلى الكتاب المقدس والتصريح بذكر الإله.

ومع نشر الإصدار الثاني من الكتاب عام ١٩٩٣م كان التصميم الذكي عبارة عن عدة انتقادات للداروينية.

وفي عام ٢٠٠٧م صدر كتاب "تصميم الحياة، اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية"، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، من قبل مؤسسة الفكر والأخلاق، وقد وضعت خطة هذا الكتاب ليكون الإصدار الثالث من كتاب

المدرسة[1].

وفي نفس الشهر، قدم الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية دعوى قضائية لإصدار قرار يمنع «مدرسة دوفر» من إعلام طلبتها عن وجود كتاب مرجعي في مكتبة المدرسة يستطيعون من خلاله دراسة وتعلم أطروحات نظرية التصميم الذكي[2].

"من الباندا والناس" إلا أنه سرعان ما اتخذ منحى خاصًا ليصبح كتابًا مستقلًا يحمل هويته الخاصة، إذ أكثر من ثلثي مادة هذا الكتاب كان جديدًا كليًا، والباقي منه هو إعادة صياغة وتحديث لما ورد في الكتاب الأصل "من الباندا والناس" (انظر: مقدمة كتاب تصميم الحياة، لرئيس مركز الفكر والأخلاق جون أ. بيُل، ص١٤، ١٥، ١٧.)

(١) انظر: إعادة المحاكمة، جون بول، ص٩، و: إعادة المحاكمة: الداروينية في قفص الاتهام، أحمد يحي، ص٤١.

(٢) انظر: التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية، ستيفن ماير، ص٨.

الجدير بالذكر –كما ذكر جون بول– أن تصرف إدارة المدرسة كان تصرفا منفردا، لم يدعمهم فيه لا معهد ديسكفري ولا مؤسسة الفكر والأخلاق –ناشر كتاب الباندا–، بل إن إدارة معهد ديسكفري طلبت منهم كثيرا تجنيبهم ذلك الصراع المبكر، فمن وجهة نظر أنصار التصميم الذكي، لم يحن الوقت بعد لتدريس التصميم الذكي للطلاب في المدارس، فالأمر ينبغي أن يظل في المناظرات العلنية بين المتخصصين، وفي المحاضرات التعريفية العامة، ولا ينتقل إلى المدارس إلا بعد أن تتكون الحاضنة الاجتماعية للنظرية العلمية لدى الجموع، فالأمر ليس يسيرا في الولايات المتحدة حين يتعلق ب"علمانية الدولة انظر: إعادة المحاكمة، جون بول، ص٩، ١٠.

تصرف إدارة المدرسة، أعطى الفرصة الذهبية للوبي الدارويني للزج بالنظرية نفسها إلى المحاكم، فقضيتهم الرئيسية ليست في تصرف إدارة المدرسة الحكومية، ولكن قضيتهم الرئيسية هي محاولة قتل نظرية التصميم الذكي بأي وسيلة[1].

وفي فبراير التالي، نشرت جريدة «وول ستريت» تقريرًا أعده «ديفيد كلينهوفر» عن العقوبة التي وقعت على عالم بيولوجي في مؤسسة «سميثسونيان»، يحمل شهادتي دكتوراه في مجاله؛ لنشره مقالة علمية محكمة تحاجج عن نظرية التصميم الذكي.

منذ ٢٠٠٥م، أحيطت نظرية التصميم الذكي بموجة تغطية إعلامية دولية، وتم تغطيتها بشكل بارز في أشهر الصحف؛ «نيويورك تايمز»، و«نيتشر»، و«التايمز» و«الاندبندنت» من لندن، و«سيكاي نيبو» من «طوكيو»، و«التايمز» من الهند، و«دير شبيجل»، و«الجيروزليم بوست»، وأخيرًا وليس آخرًا مجلة «تايم». أما مؤخرًا، فقد عُقِد مؤتمر كبير عن التصميم الذكي في مدينة «براغ»، حضره سبعمائة شخص من علماء وطلبة وباحثين من مناطق مختلفة؛ كالولايات المتحدة وأوروبا

(١) إعادة المحاكمة، جون بول، ص١٠.

وإفريقيا؛ كل ذلك يشير إلى كون نظرية التصميم الذكي قد جذبت أنظار العالم واهتمامه[1].

ويرى المعارضون لنظرية التصميم الذكي بأن هذه النظرية "إعادة هيكلة للخلقوية التي يطرحها الأصوليون للالتفاف على قرار المحكمة العليا للولايات المتحدة في عام ١٩٨٧م الذي يقر منع تعليم الخلقوية في المدارس العمومية في الولايات المتحدة"[2]، انطلاقاً من قانون الفصل بين الكنيسة والدولة، لذا فإنهم قاموا بإنشاء نظرية التصميم الذكي كبديل عن نظرية الخلق، وحرصوا على استبدال المصطلحات الدينية بمصطلحات علمانية، وتم تجسيد ذلك بكتاب مدرسي هو "من الباندا والناس" المنتج من قبل معهد دسكفري، وكان أول اختبار لإمكانية دخول التصميم الذكي إلى حصص العلوم في المدارس الأمريكية.

وفي النهاية حكمت المحكمة الأمريكية بأن التصميم الذكي هو نوع من الخلقية وتدريسهُ يخرق التعديل الأول من الدستور الأمريكي وهو التعديل الذي يحظر على المسؤولين الأمريكيين استغلال مناصبهم

---

(١) انظر: التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية، ستيفن ماير، ص٨، ٩، وانظر: مقدمة كتاب تصميم الحياة، جون أ. بيُل، ص١٤، ١٥.

(٢) انظر: التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية، ستيفن ماير، ص١٠.

لتمرير عقيدة محددة أو فرضها، إذ اعتبرت المحكمة أن التصميم الذكي ليس علمًا وأنه يحمل طبيعة دينية في جوهره.

ويذكر ستيفن ماير "أن نظرية التصميم الذكي لم تكن تطورًا حجاجيًا كرد فعل على النكسة القانونية التي تعرض لها الخلقيين في عام ١٩٨٧م، بل تم تقديمها لأول مرة في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات بواسطة مجموعة من العلماء (تشارلز ثاكستون، و والتر برادلي، و روجر أولسون) في محاولتهم للاستجابة لأحد الأسرار الغامضة في علم الأحياء المعاصر، والمتمثل بأصل المعلومات المشفرة في سلاسل الدنا (DNA)".

"ثاكستون" وزملاؤه استنتجوا أن خصائص المعلومات المختزنة في الدنا (DNA) تعطي دليلًا قويًا لتصميم ذكي مسبق، ولكنه غير محدد، وعرضوا هذه الفكرة في كتابهم " لغز أصل الحياة" وتم نشره عام ١٩٨٤م، قدموا فيه مفهوم "المسبب الذكي" كتفسير لأصل المعلومات البيولوجية، وبعد نشرهم لكتابهم بثلاثة أعوام أقرت المحكمة العليا في الولايات المتحدة – في القضية المعروفة: إدوارد ضد أجيلارد- بحظر تدريس الخلقوية[1].

ومن الجدير بالذكر أن خصوم التصميم الذكي يتهمون هذه النظرية بأنها إعادة هيكلة للخلقوية التي يطرحها الأصوليون للالتفاف

---

(١) انظر: التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية، ستيفن ماير، ص١٠، ١١، ٣٧.

حول الأحكام القضائية، **لكن أنصار التصميم الذكي ينفون أي صلة تربطهم بالخلقوية وتفسير وجود الكائنات عن طريق الخلق المباشر.**

يقول ستيفن ماير: "إن نظرية التصميم الذكي تخالف الخلقوية بشكل أساسي في محتواها ومنهجيتها، فالخلقوية تؤسس أطروحاتها على الكتاب المقدس، في حين أن نظرية التصميم الذكي تأسست لمحاولة شرح وتفسير بعض الصور والأشكال التي تلاحظها في الطبيعة، والتي تشير باستمرار إلى وجود مسبب بالاعتماد على النظام السببي أحد أهم القوانين التي يقوم عليها عالمنا.

ومن هنا فإن ما تستنتجه نظرية التصميم الذكي **قائم على أدلة تجريبية؛ إضافة إلى أن استدلالاتها لا تحتكم إلى أي مرجعية دينية.**

وفيما يخص محتوى النظرية فإنه يختلف أيضًا عما يرد في نظرية الخلقيين؛ فالخلقوية تُعرف –بحسب المحكمة العليا في الولايات المتحدة– بأنها تدافع عن بعض القراءات والتفسيرات في سفر التكوين من الكتاب المقدس، وتحديدًا التي تؤكد على حرفية ما ورد في الكتاب المقدس بأن الله قد خلق الأرض في مدة ستة أيام منذ بضعة آلاف من السنين.

في حين أن نظرية التصميم الذكي لا تقدم أي تفسير لسفر التكوين، ولا تتحدث عن أي نموذج لتفسير الطول الزمني التوراتي لأيام الخلق، ولا تقترح أي عمر محتمل للأرض، بدلًا من ذلك، فإنها

تطـرح تفسـيرًا سـببيًا- تعلـل مـن خلالـه- التعقيـد الملاحـظ في الحيـاة والطبيعة"[١].

ويقول مايكل بيهي: " ينبع استنتاج التصميم الذكي بشكل طبيعي من البيانات نفسها، وليس من كتب مقدسة ولا من اعتقادات مذهبية، فالاستدلال على أن أنظمة الكيمياء الحيوية قد صممت من قبل فاعل ذكي يعتبر عملية روتينية لا تتطلب أي مبادئ منطقية جديدة، وهي ببساطة تعتبر نتيجة للعمل الشاق الذي قدمته لنا الكيمياء الحيوية على مدار الأربعين سنة الماضية، جنبًا إلى جنب مع النظر في الطريقة التي نصل بها يوميًا إلى استنتاجات على وجود التصميم"[٢].

ولا شك أن للبروباجندا أوالآلة الإعلامية الضخمة التي تعمل في صالح أنصار التطور، وتشوه كل من يعارض الداروينية من أنصار الخلق الخاص أو من يحاول الربط المفاهيم الدينية والعلمية تأثير كبير على أنصار التصميم الذكي، "فبالاستقراء في الأوساط الأكاديمية الغربية سنجد أنه ثمة توجه ملحوظ لطرد الأساتذة من الجامعات الذين يصرحون بإيمانهم بالخلق المباشر، ويبدأون في تدريس ما يخالف نظرية

---

(١) التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية، ستيفن ماير، ص١١، ١٢، وانظر: تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص٣٩٣، إعادة المحاكمة، جون بول، ص٣٢، ٣٣، توقيع في الخلية: الدنا وأدلة التصميم الذكي، د.ستيفن ماير ص١٤، ١٥.

(٢) صندوق داروين الأسود، د. مايكل بيهي، ص٩٣.

التطور للطلاب في الجامعات، ففي اللحظة التي يعلنون فيها مخالفتهم لنظرية التطور، تتخذ المؤسسات الأكاديمية الغربية عدة إجراءات قمعية تنتهي بطرد الأساتذة من السلك الأكاديمي بالجامعة تمامًا، ومن هؤلاء المطرودين: ريتشارد سترنبرج الحاصل على شهادتي دكتوراه واحدة منها في التطور الجزيئي والذي طُرد بعد نشره لبحث مؤيد لنظرية التصميم الذكي في إحدي المجلات العلمية محكمة الأقران التي كان يرأس تحريرها، وأجبر على الاستقالة من منصبه الأكاديمي[1].

كان هذا البحث لستيفن ماير وقد انتهى فيه إلى القول بالتصميم الذكي للكائنات عوضًا عن التطور التدريجي، فأثارت المجلة ضجة علمية هائلة وتم مهاجمته بشكل شديد وتجريده من صفته العلمية إلى الحد الذي دفع أحد الكتاب إلى وصفه بالمتهرطق، وسرعان ما تمت إزالة المقالة من المجلة نهائيا.

وأيضا كارولين كروكر المحاضرة في علم الأحياء الخلوي والتي ما إن بدأت في تدريس ما يناقض نظرية التطور لطلابها توقف عملها في السلك الأكاديمي بشكل شبه نهائي، وغيرهما...[2].

---

(١) انظر: لماذا نحن هنا؟! تساؤلات الشباب حول الوجود والشر والعلم والتطور، إسماعيل عرفة، مركز دلائل، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ ص١٩٧.

(٢) انظر: لماذا نحن هنا؟ إسماعيل عرفة، ص١٩٨.

راجع الفيلم الوثائقي على شبكة الانترنت " المطرودون – غير مسموح بالذكاء " وقد تم انتاجه عام ٢٠٠٨م، وهو يعرض لنظرية التصميم الذكي، وقد عرض الفيلم

المبحث الثالث:

أهم أدلة التصميم في الكون عند أنصار نظرية التصميم الذكي.

تنبني نظرية التصميم الذكي على: وجود أنظمة معقدة مُصممة تصميمًا غير قابل للاختزال، ووجود تعقيدات متخصصة دقيقة تُظهر توافق الكون بدقة متناهية، والضبط الدقيق للكون(الأنثروبي)، ويمكن ملاحظة ذلك في المظاهر التالية:

أولًا: **التعقيد غير القابل للاختزال**.

من المفاهيم التي ارتكز عليها أنصار نظرية التصميم الذكي لبيان مظاهر التصميم في الكون "الأنظمة المعقدة غير القابلة للاختزال أو للتبسيط".

وأول من استعمل هذا المصطلح هو د.مايكل بيهي[(١)] في كتابه "صندوق داروين الأسود" وهو يعرفها بأنها: "نظام واحد مكون من

لكثير من الأكاديميين الذين تعرضوا للقمع الممنهج من قبل المؤسسات التعليمية الأمريكية؛ لأنهم يرون أدلة التصميم الذكي في الطبيعة، وينتقدون نظرية التطور الداروينة، وقد حقق الفيلم أرباحا بملايين الدولارات وعرض في أكثر من ألف دار عرض بالولايات المتحدة الأمريكية، رابط الفيديو:

https://www.youtube.com/watch?v=HN7TwpYG7zc&app=desktop

(١) د.مايكل بيهي: من مواليد سنة ١٩٦٠م، حصل على الدكتوراه في الكيمياء الحيوية من جامعة بنسلفانيا سنة ١٩٧٨م، وهو أستاذ الكيمياء الحيوية في جامعة ليهاي في بنسلفانيا، وعضو بارز في مركز العلوم والثقافة التابع لمعهد ديسكفري، انظر: العلم ودليل التصميم في الكون، ص١٥.

أجزاء متعددة مترابطة بشكل جيد، متفاعلة فيما بينها، تساهم في الوظيفة الأساسية، أينما أزيل جزء ما من الأجزاء فالنظام سوف يتوقف عن العمل"[1].

فالظواهر المركبة المعقدة التي تستدعي وجود أجزاء تعمل معًا بشكل متناغم لابد أنها وجدت هكذا دفعة واحدة، إذ لو اختل جزء منها لاختل النظام بأكمله.

وهو ما يناقض فرضية التطور إذ أن بعض الأنظمة الحية تبلغ درجة من التعقيد بحيث يستحيل تصور أنها قد تطورت عبر سلسلة تعديلات صغيرة متراكمة أقل تعقيدًا بآلية الانتخاب الطبيعي، وهو ما يعني بالضرورة أنها وجدت هكذا دفعة واحدة، وهو ما يكشف عن ضرورة وجود مصمم أنتج هذا النظام المعقد الغير قابل للاختزال.

"فمن أجل أن تعمل كثير من الانظمة البيولوجية بشكل صحيح فلابد أن تتوفر لها ثلاثة أمور:

١-أن تتوفر جميع الأجزاء المطلوبة

٢- أن تتوفر جميعًا في ذات الوقت

٣- أن تتألف وتتركب على نحو صحيح ودقيق

---

(١) صندوق داروين الأسود: تحدي الكيمياء الحيوية لنظرية التطور، د.مايكل بيهي، ترجمة: د.مؤمن الحسن، د.أسامة إبراهيم، د.زيد الهبري، وآخرون، دار الكاتب بالإسماعيلية، ط١، ٢٠١٤م، ص٦٠.

هذه الثلاثية تكشف عن الطريق الوعر جدًا للصدفة في توفير هذه المتطلبات، وهو ما يستدعي وجود مصمم صممها على هذا النحو المرتب والدقيق، وأنها لم تتطور بفعل قوانين الطبيعة العمياء وعشوائية الطفرات الجينية وعمليات الانتخاب الطبيعي من أشكال بسيطة حتى وصلت إلى هـذه الأشـكال الأكثـر تعقيـدًا وتركيبًـا، إذ أنهـا عصـية عـلى الاختـزال والتبسيط، وهو ما يتناقض مع فكرة التطور"(١).

ولتوضيح مفهوم التعقيد الغير قابل للاختزال مثل له د. مايكـل بيهي بمصيدة الفئران البسيطة التي تتكون من عدد من الأجزاء

١- قاعدة خشبية مسطحة، ٢- مطرقة معدنية والتي تتولي فعليا عملية سحق الفأر الصـغير، ٣- نـابض ذو أطـراف ممتـدة للضـغط عـلى القطعة الخشبية والمطرقة، ٤-زناد أو لاقطة حساسة والتـي تتحـرر عنـد تطبيق أي ضغط ضئيل عليها، ٥- وقضيب معدني يتصل باللاقطة، ٦- إضافة إلى ضرورة توفر أشياء ضرورية أخرى متنوعة لربط أجزاء النظام مع بعضها البعض.

إن وجود هذه الأجزاء ضرورية ولا تقبـل التبسـيط أو الاكتفـاء ببعض أجزائها دون البعض، فلكي تعمل المصيدة لابد من تواجد جميع أجزائها، ولا يمكنك التقاط عـدد قليـل مـن الفئـران باسـتخدام قاعـدة

---

(١) شموع النهار: إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي، عبد الله بن صالح العجيري، مركز تكوين بالرياض، ص١٩٨.

خشبية فقط، وعند إضافة نابض لا يمكنك التقاط المزيد من الفئران، وعند إضافة زناد لا يمكنك القبض على عدد قليل آخر. يجب أن تكون جميع قطع المصيدة في مكانها قبل أن تصطاد أي فأر! لذلك فإن مصيدة الفئران معقدة بشكل غير قابل للاختزال[1].

وقد فرق الرياضي وليام ديمبسكي بين الأنظمة المبنية بشكل تراكمي والأنظمة غير القابلة للاختزال فيقول: "لو كانت مُكونات النظام مرتبة بشكل تسلسلي فإن إزالة مكونات معينة لا تؤدي أبداً إلى انهيار النظام بكامله، أما إذا كانت إزالة أي من مكونات نظام تتسبب بانهياره فإن هذا النظام لا يعتبر اختزاليًا.

فمثلًا، تعتبر المدينة نظامًا متراكمًا حيث نستطيع أن نزيل بعض (أو كل) المباني أو الخدمات أو الشوارع ولن يؤدي ذلك لانهيار للمدينة حيث تبقى قادرة على إتمام وظيفتها، أما مصيدة الفئران -مثلا- مكونة من العديد من القطع المتفاعلة مع بعضها البعض: القاعدة، الطعم، النابض، الماسك، ويجب أن تكون جميع هذه القطع في مكانها حتى تعمل المصيدة، إن إزالة أي من هذه الأجزاء يعطل عمل مصيدة الفئران، وبالتالي فهي تعقيد غير قابل للاختزال"[2].

---

(١) انظر: صندوق داروين الأسود، د. مايكل بيهي، ص٦٣.

(٢) التصميم الذكي، وليام ديمبسكي ص١٤٧.

وقد عد الرياضي د.جون لينوكس أن وجود آليات بيولوجية مبنية وفق آليات التعقيد الغير قابل للاختزال تمثل أكبر تحد لنظرية التطور، واستند في ذلك إلى قول داروين في كتابه أصل الأنواع: "إذا ما أمكننا توضيح أي تعقيد موجود بحيث أنه لا يمكن أن يكون قد تشكل من خلال التعديلات الطفيفة الناجحة والكثيرة فهذا من شأنه أن يحطم نظريتي"[1].

وهنا يلزم مايكل بيهي داروين بأن هناك بالفعل أنظمة معقدة مكونة من أجزاء مترابطة بحيث لا يمكن توقع إنشائها تدريجيًا وعبر خطوات بسيطة كالسوط البكتيري.

"فالخلايا البكتيرية تحرك نفسها بقوة دفع قد تصل إلى سرعة دوران ١٠٠ ألف دورة في الدقيقة ناجمة عن محركات دوارة تدعى المحركات السوطية"[2].

هذا السوط أو أداة العوم تساعد البكتيريا على الحركة في المحيط السائل، ويتصل هذا السوط بغشاء الخلية ويسمح للبكتريا بالحركة حسب الاتجاه الذي ترغب به بسرعة محددة، هذا السوط مؤلف من مجموعة من الأجزاء (محرك- مجداف – دوار – بطانات – حلقة – محور

(١) انظر: أقوي براهين د.جون لينوكس، ص٣٥٣

(٢) التصميم الذكي د.ستيفن ماير، ص٨٠، ٨١.

دفع)، فلكي يعمل المحرك لابد من توافر جميع أجزاءه وإلا سيتوقف عن العمل ولن تستطيع البكتريا أن تتحرك[١].

وهو ما يتطلب تداخلا متناسقًا بين أربعين جزءًا معقدًا من البروتين، وبغياب أي منهم تزول وظيفة المحرك تمامًا، مما يؤكد أن محركًا غير قابل للاختزال كهذا لا يمكن أن يتكون تدريجيا[٢].

ويعقب فيلسوف العلوم ستيفن ماير على هذا المثال فيقول: " إننا نعرف سببًا واحدًا فقط كافيا لإنتاج التكامل الوظيفي والأنظمة غير القابلة للاختزال يسمي التصميم الذكي.

في الواقع عندما نواجه أنظمة معقدة غير قابلة للاختزال ونعرف كيف انبثقت نجزم بأنها مصممة بفعل مصمم ذكي، ومن ثم استنتج بيهي على أسس ثابتة وقوية أن الآلات الجزيئية لها والأنظمة المعقدة التي لاحظناها في الخلية يجب أن يكون مصدرها مصمما ذكيا، باختصار المحرك الجزيئي يبدو مصممًا لأنه بالفعل قد صُمم"[٣].

وهنا تعجز آلية الانتخاب الطبيعي عن تفسير هذه الأنظمة العصية على الاختزال والتبسيط.

---

(١) انظر: صندوق داروين الأسود، د. مايكل بيهي، ص٩٣

(٢) انظر: العلم ودليل التصميم في الكون، ستيفن ماير، ص٧٧، ٧٨.

(٣) العلم ودليل التصميم في الكون، ستيفن ماير، ص٧٨، ٧٩.

ثانيًا: **التعقيد المخصص**.

استخدم الفيلسوف الرياضي وليام ديمبسكي "التعقيد المتخصص" للدلالة على وجود التصميم الذكي في الكون، ويصف هذا المصطلح الأجزاء المنشئة بشكل متفرد بحيث تكون متخصصة لتنفيذ مهمة محددة بشكل معقد.

ويرى ديمبسكي أن التعقيدات المتخصصة هي دليل لايقبل الشك على وجود مصمم ذكي قد تحكم بإنشاء هذه التعقيدات، وهذا ما ينقض نظرية التطور التي تعتبر أن الكائنات قد تكونت بمحض الصدفة.

يقول ديمبسكي: أنه عندما يبدي شيء ما تعقيدًا متخصصًا (أي عندما يكون معقداً ومتخصصاً بنفس الوقت) فإننا نستطيع أن نقول أنه قد أنتج من قبل مسبب ذكي (أي أنه قد صُمم) عوضًا عن القول بأنه كان نتيجة للعمليات الطبيعية[1].

وقد وضح ديمبسكي مفهوم التعقيدات المتخصصة باستخدم المثال التالي:

---

(١) التصميم الذكي، وليام ديمبسكي ص٤٧.

"حرف (أ) من حروف الهجاء متخصص لكن بدون تعقيد، وجملة طويلة من الحروف العشوائية معقدة من غير تخصيص، وقصيدة لشكسبير معقدة ومتخصصة في آن واحد"[1].

فالتعقيد المتخصص في قصيدة شكسبير "يستدعي وجود فاعل رتب الأحرف على هذا النحو الدقيق، وذلك لأنه تم ترتيبه وتركيبه على نحو يحقق وظيفة إيصال المعنى، فاللغة ليست مجرد صف للحروف وإنما يجب أن تصف الحروف على نحو خاص لتشكل كلمات ويجب الربط بين هذه الكلمات في ضوء قواعد معينة ومن خلال ذلك يمكن أن تكون اللغة ناقلة للمعني أما هي بمجردها بعيدة عن صنعة التأليف الخاص فإنها لا تفيد معنى[2].

في ضوء هذا يظهر الفرق بين التخصيص بدون التعقيد، والتعقيد بدون تخصيص، والتعقيد المتخصص الذي يحتاج إلى فاعل ولا يخضع للصدفة والعشوائية.

---

(١) التصميم الذكي، وليام ديمبسكي ص٤٧، وانظر: العلم ودليل التصميم في الكون، د.ستيفن ماير، وآخرون ص٦٢، والتصميم الذكي د.ستيفن ماير، ص٨٨ وما بعدها.

(٢) شموع النهار، عبد الله العجيري، ص٢٠١،٢٠٠.

لـذلك يـرى ديمبسـكي أن تفاصـيل الكائنـات الحيـة يمكـن أن توصف بشكل مشابه للمثال أعلاه خصوصًا نـماذج التتـابع الجزيئـي في الجزيئات البيولوجية الوظيفية مثل الدنا (DNA).

وكذلك وضح ديمبسكي مفهوم التعقيدات المتخصصة باستخدم مثـال الرامـي والسـهم، فعمليـة الرمـي تتطلـب ثلاثـة عنـاصر أساسـية (الرامي، السهم، الهدف)، ولكي يصيب الرامي الهدف أمامه فرضين

الأول: إما أن يرمي السهم ثم بعد ذلك يقوم برسم دائـرة حـول المكان الذي أصابه السهم، ماذا نستنتج من هذا السيناريو؟ بالتأكيـد لا نستنتج شيئا حول قدرة الرامي باعتباره رام متقن في إصابة الهدف إذ أنه قام بتحديد الهدف بعد عملية إطلاق السهم.

الثاني: أن يقوم الرامي برسم وتخصيص الهدف قبل عملية الرمي عن طريق رسم دائرة، فإذا أصـاب السـهم قلـب الـدائرة في كـل محاولـة للرمي فلا بد أن نستنتج أن مستوى الرامي عالي جدًا، ولا يمكن وصفه بأنه محظوظًا، بل سيوصف بأنه ماهر ومـتقن في إطـلاق الأسـهم، ومـن المؤكد أن المهارة والإتقان من سمات التصميم[1].

وقد قام ستيفن ماير بتطبيق مفهوم التعقيد المخصص على الخلية الحية فذكر أنه " خلال الخمسينيات أدرك العلماء سريعًا أن البروتينـات لديها خاصية رائعة، فبالإضافة إلى تعقيدها تظهر أيضًا تخصيصًا؛ سواء في

---

(١) انظر: العلم ودليل التصميم في الكون، وليام ديمبسكي، وآخرون ص٣٨.

الصفوف الأحادية البعد أو التركيبات الثلاثية الأبعاد، لما كانت البروتينات مبنية على كتل كيميائية بسيطة تعرف بالأحماض الأمينية فوظيفة البروتينات لا تعتمد بشكل جوهري على هذه الكتل، بل تعتمد على الترتيب الخاص لهذه الكتل.

علماء البيولوجيا الجزيئية كفرانسيس كريك[1] سرعان ما شبهوا خصائص البروتين هذه بالنص اللغوي؛ حيث إن المعني (الوظيفة) للنص الإنجليزي يعتمد على ترتيب متتابع من الحروف، بالمثل وظيفة البيبتيد (تتابع الأحماض الأمينية) يعتمد على تتابع مخصص، وعلاوة على ذلك أي خلل صغير في التتابع سرعان ما يؤدي إلى فقد الوظيفة" [2].

وعلى هذا فالخلية الحية مكونة من مجموعة من البروتينات المختلفة اللازمة لاستمرار حياة الخلية والحفاظ عليها، وكل بروتين يحتوي على سلسلة من الأحماض الأمينية وعلى هذا فهو معقد، كما أنه

---

(١) فرانسيس هاري كومبتون كريك(١٩١٦-٢٠٠٤م): عالم أحياء بريطاني، حصل مع جيمس واطسون وموريس ويلكينز على جائزة نوبل عام ١٩٦٢م، في علم وظائف الأعضاء أو الطب "لاكتشافهم بنية الأحماض النووية وأهميتها في نقل المعلومات في المادة الحية، بدأ كريك أبحاثه في الأحياء الجزيئية في جامعة كمبردج عام ١٩٤٩م، وفي عام ١٩٧٦م أصبح أستاذًا باحثًا بمعهد سولك في سان دييجو في كاليفورنيا، بالولايات المتحدة الأمريكية. انظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م، ١٩/ ٢٤٩.

(٢) العلم ودليل التصميم في الكون، ص٨٠.

مخصص نظرا لضرورة تخصيص هذه الأحماض بترتيب معين حتى يتسنى للبروتين القيام بمهامه الوظيفية.

ونظام كهذا يستحيل وجوده من خلال عملية غير موجهة بمحض الصدفة والعشوائية، بل لابد له من مصمم ذكي عمل على تعقيده وتخصيصه حتى يؤدي وظيفته.

ثالثًا: المبدأ الأنثروبي أو الضبط الدقيق للكون.

يحتج أنصار نظرية التصميم الذكي بهذا المبدأ لبيان مظاهر التصميم في الكون، فكل ما في الكون يتمتع بقدر عال من الدقة المحكمة والتوازن الدقيق وبقوانين ثابتة، ولو وقع أي تغيير طفيف في تلك القوانين، لاستحال تكون الكثير من العناصر الكيميائية والكثير من الخصائص الكونية، وانهار الكون ولما صلحت عليه الحياة.

يقول د.ستيفن ماير: " كشف علماء الفيزياء أن الكون معد بعناية لاستمرار الحياة البشرية، فقد اكتشفوا أن استمرار وجود الحياة لا يعتمد على احتمالات لانهائية؛ إنما يعتمد على توازن دقيق للعوامل الفيزيائية، تظهر الثوابت الفيزيائية والشروط الأولية للكون والعديد من خصائصه في ثبات دقيق لإمكانية استمرار الحياة، حتى إن التغييرات الطفيفة في نِسَبِ العديد من العوامل مثل معدل توسع الكون، أو قوة الجاذبية الأرضية، أو قوة الجاذبية الكهرومغناطيسية، من شأنها أن تجعل الحياة مستحيلة.

يشير العلماء اليوم إليها باسم "الشروط الإنسانية"؛ لأنها تجعل الحياة ممكنة للإنسان، كما يطلقون على التماسك الموافق لتلك العوامل باسم "الكون المعد بعناية" أو العناية الدقيقة للكون، وبافتراض انعدام الاحتمالية لمجموعة القيم الدقيقة التي تمثلها هذه الثوابت، وعلاقتها بمقتضيات استمرار الحياة في الكون، لاحظ العديد من علماء الفيزياء أن الضبط الدقيق يوحي بقوة إلى التصميم من قِبَلِ مصمم ذكي قديم كما قال عالم الفيزياء البريطاني المشهور بول ديفيز: "فكرة التصميم ساحقة"(١).

وكما علق "فريد هويل": التفسير المنطقي البسيط للحقائق يوحي بأن كائنًا فائق الذكاء قد لعب بالفيزياء، والكيمياء، والأحياء كذلك، وأنه لا توجد أي قوى عمياء جديرة بالذكر في الطبيعة"(٢).

فمستوى الإتقان القائم والموجود في هذا الكون ليس على مستوى الأحياء البيولوجية وحدها، ولا على طبيعة هذا الكوكب المذهل الذي نعيش فيه، بل الإتقان يصل إلى مستوى السنن والقوانين الناظمة لهذا الكون(٣).

---

(١) انظر: العلم ودليل التصميم في الكون، ص٦٥، ٦٦

(٢) التصميم الذكي، د.ستيفن ماير، ص٩٧.

(٣) انظر: شموع النهار، عبد الله العجيري، ص١٧٧.

فمثلًا: أثبتت الحسابات التي قام بها علماء الفيزياء أن ثابت نيوتن للجاذبية لو تغير بمقدار بالغ الضآلة لما كانت الشمس موجودة، ولما أصبحت الحياة على كوكب الأرض ممكنة، ولو كانت قوة الجاذبية أقوى سيكون الكون أصغر حجما بكثير من حجمه الحالي، كما سيكون عمره قصير جدا.

كذلك لو كانت القوة الكهرومغناطيسية أضعف مما هي عليه بـ ٤٪ فقط لانفجرت الشمس فور تكونها، وستصبح نفس النتيجة إذا زادت القوة الكهرومغناطيسية عما هي عليه[1].

يوضح فيلسوف العلوم د.ستيفن ماير هذا الأمر بمثال معبر فيقول: " تخيل أنك مستكشف كوني وعثرت على غرفة التحكم في الكون بأسره، واكتشفت هنالك آلةُ خلق الكون مفصلة وبها العديد من صفوف الأقراص، وبعد التحري علمت أن كل قرص يمثل بعض العوامل الثابتة التي تلزم بمقدار محدد، من أجل خلق الكون ولبقاء الحياة، وآخر يمثل الإعدادات الممكنة للقوة النووية الشديدة، وآخر يمثل الجاذبية الأرضية، وآخر لقوة الجذب الكهرومغناطيسية وما إلى ذلك، وبفحصك لهذه الأقراص ستجد أنه من الممكن ضبط هذه الأقراص على أوضاع مختلفة بسهولة، وعلاوة على ذلك يمكن معرفة أن

---

(١) انظر: الصنع المتقن، دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، مركز دلائل بالرياض، ط٢، ١٤٣٨هـ، ص٢٧٧، ٢٧٨.

الحياة ستزول لو تغيرت أي من هذه الأعدادات ولو قليلًا بإجراء حسابي دقيق، لكن لسبب ما، تم ضبط كل قيمة بصحة لازمة للحفاظ على سريان الكون. ماذا تستنتج عن أصل هذا الضبط المحكم للإعدادات؟"[١].

الاستنتاج المنطقي الذي سنصل إليه، أن ثمة من ضبط تلك الأقراص لتتخذ تلك الثوابت قيمها الخاصة بها، والضرورية لوجود الكون ووجود الحياة.

وكما كتب عالم الكون إد هاريسون[٢]" إن الضبط الدقيق للكون يزودنا بأدلة صريحة على التصميم الإلهي"[٣].

لذا يرى المدافعون عن التصميم الذكي أن هذا **الضبط الدقيق للكون** يحتاج إلى مصمم ذكي لضمان تكون الكون والحياة، وأن الحظ والاحتمال لا يجد سبيلا لتفسير هذا **الضبط الدقيق.**

---

(١)العلم ودليل التصميم في الكون، ص٦٦.

(٢) إدوارد آر هاريسون(١٩١٩-٢٠٠٧م): عالم كونيات بريطاني عمل بجامعة ماساتشوستس وبجامعة أريزونا، انظر: الإيمان بالخالق والعلم: اقتباسات موثقة لمشاهير العلماء في العصر الحديث، جوردون ليدنر، ترجمة مركز دلائل ط١، ٢٠١٧م، ص١٤٨.

(٣) انظر: لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، نورمان ل جايسلر، فرانك تورك، ترجمة ماريان كتكوت، دار الإخوة للنشر بالقاهرة، ط١، ٢٠١٧م، ص١٢٠.

الفصل الثاني: جذور فكرة التصميم في الفلسفة الغربية.

تمهيد:

لاشـك أن البحـث في وجـود مـدبر الكـون مـن أجّـل العلـوم، وأسماها في مختلف الفلسفات على مر العصـور، ويُعـد الاسـتدلال عـلى وجود خالق مدبر للكون بما في الكـون مـن التصـميم والنظـام والغائيـة والعناية والإتقان والإحكام... من أقوى وأوضح وأبسط البراهين التي استدل بها لإثبات وجود الله سبحانه وتعالى، فهو يتناسب مع عقول جميع المخاطبين.

ورغم تعدد الأسماء المعبرة عن هـذا الـدليل، وإن تنوعـت أوجـه الدلالة تبعًا لتلك الأسـماء، **فإنها في الحقيقة تؤول إلى معنى واحد**[1]، هـو

---

(١) نتيجة لتعدد صور الإتقان والإحكام فى الكون وتنوع المشاهد الدالة على ذلك تعددت الأسماء والألقاب التي يعبر بها عن هذا الدليل، فمن أسمائه:

- دليل النظام؛ باعتبار أن المخلوقات أحكمت بنظام دقيق تسير وفقه، لا ينخرم ولا يتغير.
- دليل الغاية؛ باعتبار أن كل مخلوق من المخلوقات وضعت له غاية يسير إليها ويتوجه نحوها.
- دليل العناية؛ باعتبار أن الكون وضع على هيئة دقيقة موافقة لمصالح الإنسان ومنافعه الحياتية.
- دليل التخصيص؛ باعتبار أن الكون خصص فيه كل جزء بصورة وتقدير مناسب لطبيعته ووظيفته المتعلقة به.

الاستدلال على مافي الكون من التصميم والنظام والغائية والعناية، على وجود خالق عليم حكيم.

فالعاقل إذا تأمل النظام المتقن والصنع الدقيق لهذا العالم من حوله بطريقة صحيحة، وجد بعد تدبر وتفكر أن هذا الكون ملائم لحياة المخلوقات، وهذا التلاؤم لا يمكن أن يوجد بلا تدبير مدبر قاصد وجوده على هذا الوجه، لاستحالة وجوده هكذا مصادفة أو بالطبيعة العمياء.

ولقد **استدل القرآن الكريم** على وجود الباري جل شأنه بالنظام المتقن وعنايته بهذا الكون، ودعا إلى النظر في أسرار المخلوقات، فإن بينها موافقة يستحيل أن تكون وجدت بالمصادفة، وإنما بفعل فاعل مريد، مما يدل على عنايته وتدبيره لمخلوقاته.

- دليل التسوية؛ باعتبار أن الخلق سويت صورته فى أحسن شكل وأكملت صنعته بحيث لا يكون فيه خلل ولا اضطراب.
- دليل الهداية؛ باعتبار أن كل جزء في الكون هدي إلى ما خلق لأجله وألهم غاية وجوده ويسر له الطريق لبلوغها.
- دليل التصميم؛ باعتبار أن كل الكون مصمم مبنى بصورة دقيقة مذهلة مبهرة، وكل جزء فيه يؤدي وظيفة دقيقة أحيطت به، ولو حصل أي تغيير في المقدار أو المكان لوقعت آثار عظيمة.

قال تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"(١)، فالآية "اشتملت على عدة من الآيات الكونية، وطلبت من العقل أن يفكر فيها، وفيما اشتملت عليه من النظام ومنافع العباد، ليصل بذلك إلى معرفة منشئها ومرتبها على ذلك الوجه البديع"(٢).

كما تعتبر عناية الله تعالى بالعالم عقيدة جوهرية في **الكتاب المقدس**- بعهديه القديم والجديد- وهى تشمل كل شيء لا سيما الإنسان؛ إذ يمده الله تعالى بأسباب الوجود، ويحفظه من كل سوء: "الرب صالح للكل ومراحمه على كل أعماله ... الرب عاضد كل الساقطين ومقوم كل المنحنين، أعين الكل إياك تترجي، وأنت تعطيهم طعامهم في حينه، تفتح يدك فتشبع كل حي رضا، الرب بار في كل طرقه، ورحيم في كل أعماله، الرب قريب لكل الذين يدعونه ... بالحق، يعمل رضا خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم، يحفظ الرب كل محبيه ويهلك جميع الأشرار"(٣).

---

(١) سورة البقرة: آية ١٦٤.

(٢)القول السديد في علم التوحيد، الشيخ محمود أبو دقيقة، تحقيق أ.د/ عوض الله حجازي، مكتبة الإيمان، ط١، ١٩٩٥م، ٢/ ٢١١.

(٣) سفر المزامير ١٤٥/ ٩-٢٠.

وهذه العناية لا يفوتها شيء مهما قلت قيمته أو صغر شأنه، فطيور السماء ترزق من غير حول منها ولا قوة: " انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها، ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟، ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعًا واحدة؟ ...

تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو؟ لا تتعب ولا تغزل ... فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غدًا في التنور، يلبسه الله هكذا، أليس بالحري جدًا يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان"[١].

وقد احتل هذا الدليل مكانة كبيرة في **كتابات علماء الإسلام**، إذ قلما يخلو كتاب من الكتب المعنية بهذا الشأن إلا ونجد لهذه الحجة حضورا كبيرًا في كتاباتهم، وذلك لما تتمتع به هذه الحجة من قربها من الفطرة السوية والعقول السليمة، كما أنها تعتمد على الواقع المشاهد المحسوس.

فنجد الإمام **أبا حنيفة النعمان** استخدمها في جداله مع الدهرية[٢]وكذلك الإمام الشافعي[٣].

---

(١) انجيل متى ٦ / ٢٦-٣٠.

(٢) راجع: التفسير الكبير، للإمام الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ٢/ ٩١.

(٣) راجع: التفسير الكبير، للإمام الرازي، ٢/ ٩١.

كما استدل الإمام الأشعري بهذا الدليل على وجود الله سبحانه وتعالى في رسالته إلى أهل الثغر[1]، وكذا في كتابه اللمع[2].

واستدل بـه الإمـام الجـويني وسـماه دليـل التخصـيص؛ في كتابـه العقيدة النظامية[3].

ونجد أن الإمـام **الغزالي** ألـف كتابًـا خاصًـا أسـماه " الحكمـة في مخلوقات الله عز وجل " صرح فيه أن التأمل في مخلوقات الله والتفكير في عجائب مصنوعاته هو الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، كما أنه يجعل ما في الكون شواهد ودلائل على صفات الله عز وجـل كـالعلم والقـدرة والإرادة[4].

وعلى نفس المنوال الإمام **الرازي** فقد فصل الكلام عن هذا الدليل في تفسيره للقرآن الكريم عند الآيات المتعلقة به، كما أنه ألف كتابًا خاصًا بهذه الطريقة سماه "أسرار التنزيل وأنوار التأويل" استقرأ فيه عددا كبيرًا

---

(١) راجع: رسالة إلى أهل الثغر، الإمام الأشعري، تحقيق عبد الله شاكر محمد الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ٢٠٠٢م، ص١٤٧ – ١٥١

(٢) راجع: اللمع فى الرد على اهل الزيغ و البدع، الإمام الأشعري، تحقيق حمودة غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥م، ص١٧، ١٨.

(٣) انظر: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، للجويني، تحقيق: محمد زاهد الكوثرى، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٢م ، ص٢١.

(٤) انظر: الحكمة في مخلوقات الله عز وجل، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٧ وما بعدها.

من الظواهر وحللها بناء على معطيات عصره العلمية، ووجه الاستدلال بها على وجود الله سبحانه وتعالى وصفاته[١].

وكذلك **الإيجي** فقد سار على هذا النسق في تقريره لحجة الإتقان[٢].

وكذلك **استخدم الفلاسفة المسلمون** هذا الدليل **فالكندي** استدل على وجود الله بدليل العناية والغاية في الكون مستبعدًا بذلك فكرة المصادفة والعبث[٣]، وكذلك **الفارابي** اعتمد على دليل العناية في تقرير وجود الله[٤]، **وابن سينا** استدل به في كتابه النجاة على وجوب وجود واجب الوجود[٥]، وفي كتابه الشفاء استدل به على صفة العلم[٦]، وكذلك

---

(١) راجع: أسرار التنزيل وأنوار التأويل، الإمام الرازي، تحقيق محمود أحمد محمد، بابا علي الشيخ عمر، صالح محمد عبدالفتاح، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠١١م.

(٢) راجع: المواقف في علم الكلام، عضد الدين الإيجي، عالم الكتب، بدون، ص٢٣٤.

(٣) راجع: رسائل الكندي الفلسفية، رسالة في الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد، للكندي، تحقيق محمد عبدالهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد مصر، ١٩٥٠م، ص٢١٤، ٢١٥.

(٤) راجع: فصوص الحكم، للفارابي، ط١٩٤٩م، ص ٦٢ .

(٥) راجع: النجاة، لابن سينا، تقديم ماجد فخري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ٣٢٠.

(٦) راجع: الشفاء(الإلهيات)، لابن سينا، تحقيق سعيد زايد قنواتي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م، ص٤١٥.

ابن رشـد فقـد اهـتم بـدليل العنايـة ورأى أنـه الـدليل الموافـق للشرـع في الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى[1].

وباعتبار أن "نظرية التصميم الذكي" نشأت في الغرب فسوف نركـز دراستنا على بيان موقف الفلاسفة الغربيين من فكـرة التصـميم والغائيـة، فلا يمكن فهم أي قضية فهمًا صحيحًا ومتكاملًا مـالم توضـع في سياقها التاريخي، والنظرة التحليلية تقتضى الحديث عن دليل النظم عند فلاسفة اليونـان، وفي الفلسـفة الأوربيـة في العصـور الوسـطى، وفي الفلسـفة الأوربيـــــــــــة الحديثـــــــــــــــة والمعـــــــــــــــاصرة.

(١) راجع: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، ضمن مجموع بعنوان فلسفة ابن رشد، دار الآفاق الجديدة بيروت ص ١٥٠-١٥٤، فصل المقال وتقرير مابين الحكمة والشريعة من الإتصال، ضمن مجموع بعنوان فلسفة ابن رشد، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ص ٦٠.

المبحث الأول: **فكرة الغائية أو النظم (التصميم) في الفلسفة اليونانية**.

تعد الفلسفة اليونانية من الجذور الأساسية التي بنيت عليها المنهجية المعرفية الغربية فيما بعد عصر النهضة.

ولقد كانت فكرة الغائية أو التصميم موجودة لدى فلاسفة اليونان، واعتقدوا أن الكون محكوم بالغائية والنظام، إلا أن معظمهم كان يرى أن الغائية في الكون شيء، والاستدلال بها على وجود إله أو آلهة لهذا الكون شيء آخر[1].

لذلك فإن من استخدم الغائية -في الفلسفة اليونانية- لم يستخدمها كدليل مستقل على وجود إله أو آلهة لهذا الكون، كغيرها من الأدلة الأخرى، أو أنه استخدمها كدليل اقناعي في محاوراته، لأنه يرى أن هذه الفكرة تأتي بالتبعية بعد الإعتقاد بوجود إله.

ولقد استخدم سقراط (ت:٣٩٩ق.م) الغائية في الكائنات الحية في نفى الصدفة عن الكون، وأقر بالابداع والغاية والحكمة فيه، وكان ذلك حينما بزغ تساؤل في يوم ما بين طلاب سقراط مفاده:

---

(١) وتفريقهم هذا له أثره في الفلسفة الحديثة، فبعض الملحدين يعترف بوجود التصميم والغائية في الكون لكن لا يؤمن بإله، بل يرى أن هذا التصميم من صنع العشوائية أو الصدف.

فوفقًا للنظرة الداروينية فإن كل ما نراه من التصميم والتنظيم والتعقيد في الكون مجرد نتيجة عمليات عشوائية عمياء كالانتخاب الطبيعي.

"بفرض أن الآلهة قد خَلقَتِ العالَمَ حقًّا، أتراها تأبه لما يحدث فيه؟

جادَلَ أرسطوديموس أحد تلامذة سقراط بأنها لا تفعل، في حين أجاب تلميذه الآخر المؤرخ زينوفون بترديد إجابة سقراط نفسه حين قال:

سقراط: لأن عيوننا ضعيفة هشة، فعليها ما يغطيها من جفون تُفتح عند وجود مدعاة لاستخدامها ... وفوقها الحواجب لتحميها من عرق الرأس ... ويجوارها الفم والأنف باعتبارهما بوابتي دخول كل احتياجاتنا، ونظرًا لأن كل ما يخرج من الجسم من مادة كريه، فمنافذه في الخلف، في أبعد نقطة ممكنة عن الحواس. دعني أسألك يا أرسطوديموس، عندما تنظر إلى هذا التكوين الدال على الحكمة والتبصر، هل سيكون لديك شك فيها إذا كان يبدو محض صدفة أم ذا تصميم؟

أرسطوديموس: بالطبع لا، إذا نظرنا إليه في ضوء ما تصف، فهو يبدو قطعا من صُنع حرفي حكيم يملأ قلبه الحب لكل شيء حي.

سقراط: وماذا عن غريزة التكاثر الكامنة فينا، وعن غريزة الأم ورعايتها لصغارها، وعن الصغير إذ يتشبث بالرغبة في الحياة ويخاف الموت؟

أرسطوديموس: تبدو هذه التدابير أيضًا من صُنع من قرر وجود كائنات حية"[١].

وعلى هذا انتهى الحوار إلى أن وجود الكائنات الحية لا يمكن أن يكون بمحض الصدفة وإنما بحكمة ونظام وغاية.

ويرى سقراط أن الغائية تمتد إلى الظواهر الكونية، فالآلهة –في نظره– منحتنا النور الذي به نرى، وألهمت الأرض أن تقدم طعام البشر، وجعلت للشمس مكانًا لا تقترب فيه من الأرض فتحرقها، ولا تبتعد عنها فتحرمها الدف[٢]، وكما قال " لو تأملنا في كل شيء في الوجود لرأينا كيف تعمل العناية فيه"[٣].

وأما أفلاطون(٣٤٧ق.م): كان ولا زال لأفلاطون بفضل نزعته الروحية أثر كبير فيمن أتى بعده من الفلاسفة، فبعد أن كان الفلاسفة الطبيعيون يبحثون في مصدر الأشياء ويردونها إلى الطبيعة، بحث أفلاطون عن إله خالق للكون.

---

(١) بداية اللانهاية: تفسيرات تغير وجه العالم، ديفيد دويتش، ترجمة دينا أحمد مصطفى، مراجعة مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٦م ص٩٢، ٩٣.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة، فردريك كبلستن، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للثقافة، ط١، ٢٠٠٢م، ١/ ١٧٣.

(٣) انظر: الحرية في الفلسفة اليونانية، محمود مراد، دار الوفاء بالإسكندرية، ط١، ١٩٩٩م، ص٩٠.

وقد خالف أفلاطون من سبقه من الفلاسفة الطبيعيين الذين يرون أن"الطبيعيات الآلية التي تحاول أن تفسر الوجود تفسيرًا آليًا مخرجة منه كل علة غائية"[1].

ويبرهن أفلاطون على وجود الله من وجهين: وجهة الحركة، ووجهة النظام، وعبر عن وجهة النظام بقوله: " إن العالم آية فنية غاية في الجمال، ولا يمكن أن يكون النظام البادي فيما بين الأشياء بالإجمال، وفيما بين الأشياء بالتفصيل، نتيجة علل اتفاقية، ولكنه صنع عقلا كاملا توخى الخير، ورتب كل شئ عن قصد"[2].

ويرى أفلاطون أن النظام في العالم له غاية ولابد أن يكون صادرًا من الإله، فالعناية الإلهية "ليست توجد في حركات الكواكب وصورة العالم العامة فحسب، بل توجد أيضًا في الإنسان وفي كل الوجود، إذ لا يليق بالألوهية وما لها من مقام أن تترك الأشياء بغير نظام"[3].

---

(١) أفلاطون، عبدالرحمن بدوي ص٢٣١

(٢) محاورة تيماوس ص٢٨(أ) – ٢٩(أ) نقلا عن تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٦م، ص٩٩، ١٠٠.

(٣) أفلاطون، عبدالرحمن بدوي ص٢٣١

ويذكر **أفلاطون** في محاورة فيليبوس أن هناك عقلًا وفكرًا عجيبًا قد نظم الكون وساسه، وبالتالي فلا مجال للقول بأن القدر الأعمى والاتفاق هو الذي يتحكم في الكون[١].

كذلك فإن أفلاطون يدعوا لتلمس الغائية من خلال النظر في الموجودات وما فيها من نظام وتناسق يشهدان على وجود إله قصد ذلك وأراده[٢]، أعد لكل شيء ما يناسبه من أجل المحافظة على بقاء الكل وكماله[٣].

ويؤكد على هذه الغائية بصورة كبيرة عند حديثه عن بنية الجسم حيث هيّأ لكل عضو وظيفة محددة يقوم بها ولا يتجاوزها[٤].

فحكمته لا نهائية تظهر واضحة في خلقه المتقن الصنع البديع، فهو قد شاء أن يصنع عنصري الهواء والماء بين عنصري التراب والنار لكي يكون جسم الكون مفعمًا بالجمال والاتساق، وقد صنع العالم على هيئة دائرة لأن هذا الشكل هو أجمل الأشكال الهندسية، وخلق لنا البصر

---

(١) انظر: محاورة فيليبوس، لأفلاطون، ترجمة فؤاد بربارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق، ١٩٧٠م، ص٢١١، ٢١٢.

(٢) انظر: محاورة القوانين لأفلاطون، ترجمها عن اليونانية للإنجليزية تيلور، ونقلها للعربية حسن ظاظا، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص٤٤٩.

(٣) انظر: محاورة القوانين لأفلاطون، ص٤٧٧.

(٤) انظر: محاورة تيماوس لأفلاطون، قدم لها: ألبير ريفو وعربها: فؤاد جرجي بربارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق، ١٩٦٨م، ص٣٣٩ وما بعدها.

لنلاحظ بواسطته جمال السماء ومنحنا السمع لنصغي به إلى أصوات الطبيعة الهاتفة بمعاني الانسجام، وقد جعل رؤوسنا مستديرة لتشبه الكرة الكونية العامة التي قررنا أنها أجمل الأشكال، وذلك طبيعي؛ لأن الرأس هو أشرف الجسم الإنساني، بل هو فيه بيت القصيد وقطب الرحا، أما بقية أجزاء الجسم فأكبر وظائفها أنها تحمل الرأس كما تحمل العربة الإنسان.

وجملة القول إن الإله قد أوجد العالم على أتم ما يمكن من صور الكمال والجمال وهيّأ لكل جزئية فيه وظيفتها التي لا تصلح إلا لها والتي لو حادت عنها لانحدرت إلى طريق الضعف أو الفناء[1].

وأما الرواقيون، فقد تصوروا الإله بأنه مبثوثًا خلال العالم كله محركًا كل جزء من أجزائه.

كما اعتمدوا في التدليل على إثبات وجود إله لهذا الكون عدة أدلة فلسفية منها ما أورده الفيلسوف الروماني شيشرون في كتاب (طبيعة الآلهة) ونسبه لكروسبوس الرواقي (ت:٢٠٨ق.م) أنه إذا كان العالم من صنع موجود عاقل، فالعالم لابد وأنه قد أحكم تدبيره عقل إلهي، يسهر على مصلحة جميع الخلائق، وعلى هذا النحو نحس بوجود الله، لأن العقل الذي أحدث الأشياء هو فوق العقل

---

(١) انظر: مشكلة الألوهية د.محمد غلاب، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٧م، ص٤٠.

الإنساني، ووجود العالم وجماله يدلان على وجود كائن عاقل أرفع من الإنسان وليس هذا الكائن شيئاً آخر غير الله[1].

وكذلك ما نسبه شيشرون لكونتيوس باليبوس الرواقي (عاش حوالي ١٠٠ ق.م) من استشهاده بظواهر الكون للدلالة على الذكاء الإلهي، وأنه إذا كانت الآثار البشرية الدالة على الفن والذكاء؛ كرؤية تمثال، أو صورة، أو مسار سفينة من بُعد، وكذا الساعات المهيئة بالفن والذكاء لا بالصدفة ... وغيرها من الفنون فإذا كان الفن لا ينتج شيئاً من دون استخدام الذكاء، فكذا هو الحال مع الطبيعة، فمنتجات الطبيعة تمتاز بأكثر وأروع من منتجات الكائن البشري، ولا ينبغي اعتبارها فاقدة للذكاء، فترتيب أجزاء الكون مجتمعة لا يمكن أن يأتي بالصدفة، وإنما من خلال التوجيه والذكاء الإلهي[2].

(١) انظر: الفلسفة الرواقية، د.عثمان أمين، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م، ص ١٨٧.
(٢) انظر: محاورات شيشرون، د.محمد فرحان، ص٧٠.

المبحث الثاني: فكرة الغائية أو النظم (التصميم) في الفلسفة الأوربية في العصور الوسطى.

تـأثر تصـور فلاسـفة العصرـ الوسـيط الغـربيين للإلـه بـالنظرة المسـيحية، وكـان أبـرز فلاسـفة هـذا العصرـ: أوغسـطين(٤٣٠م)، وأنسلم(ت١١٠٩م)، وتوما الأكويني(ت ١٢٧٤م)، وهم آباء للكنيسة في الأصل، ثم فلاسفة لديهم تحرر عقلي، ولكنه في نطاق ما تمليه علـيهم العقيدة المسيحية، كمسيحيين يؤمنون بالله تبعًا للدين المسيحي[1]، وكجزء من الفلسفة الدينية عند فلاسفة هذا العصر.

ولقد ساد اتجاه في هذا العصر يرى أن الله تعالى لا يحتاج إلى برهان للتدليل على وجوده، ومـن هـؤلاء **يوحنـا الدمشـقي**(ت ٧٤٩م) حيـث ذهب إلى أن معرفة وجود الله تعـالى مركـوزة طبعًـا في الجميـع، وكـذلك **أنسلم** (ت ١١٠٩م) حيث اعتقد أن "الله موجود حقًا حتى أننا لا يمكننا أن نفكر في أنه غير موجود"[2]، وكذلك **بونا فنتورا**(ت١٢٧٤م) حيـث

---

(١) انظر: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، أوغسطين-أنسيلم- توما الأكويني، ترجمة وتقديم وتعليق د.حسن حنفي حسنين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م ص٣٢.

(٢) آمن كي تعقل، أنسلم، ضمن: نماذج من الفلسفة المسيحية د.حسن حنفي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م، ص١٤٧، وانظر: الخلاصة اللاهوتية، توما الأكوينيّ، ترجمة: الخوري بولس عواد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ١/ ٢٨، و: الله في فلسفة القديس توما الأكويني، ميلاد ذكي غالي، منشأة المعارف بالاسكندرية، ط١، ١٩٩٨م، ص١٥.

يرى أن وجود الله واضح بنفسه، وأن معرفة الله فطرية، وأنه ليس في حاجة إلى دليل يدل على وجوده؛ لأن وجوده أوضح من أي وجود آخر[1]

وعارض هذا الاتجاه اتجاه آخر يرى أن فكرة وجود الله ليست بينة بذاتها، وإنما تحتاج إلى دليل لبيانها، وأن هناك فرقًا بين أن تكون الفكرة بينة في نفسها، وبين أن تكون الفكرة بينة في نفسها، وبينة لنا في نفس الوقت.

وقضية "الله موجود" بينة بذاتها لكنها غير بينة لنا، فتحتاج منا إلى تأمل وبحث؛ لأن الموضوع هو عين المحمول، فالله هو عين وجوده، ولكننا لا نعرف ماهية الله، فالقضية ليست بينة لنا، ولابد من البرهنة عليها[2].

الفكرة الأولى: وهى التى تكون بينة فى ذاتها وبينة لنا، فلا تحتاج إلى برهان يوضحها لنا، وهذه الفكرة تتضح إذا كانت القضية محمولها متضمنا فى موضوعها.

---

(١) انظر: فلسفة العصور الوسطى، د.عبد الرحمن بدوي، مطبعة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٦٩م، ص١٠٣، و: دروس في الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى، أ.د/ سمير حامد محمد عبدالعال، بدون، ٢٠١٩م، ص٢٠٠

(٢) انظر: الخلاصة اللاهوتية، توما الأكويني، ١/ ٢٩ و: الله في فلسفة القديس توما الأكويني، ميلاد ذكي غالي، ص١٤، ١٥.

الفكرة الثانية: وهى التى تكون واضحة فى نفسها، ولكنها غير واضحة لنا، فتحتاج منا إلى تأمل وبحث[1]

ولقد استدل **أوغسطين**(٤٣٠م) على وجود الله سبحانه وتعالى بدليل الغائية والنظم، حيث يرى أن: في الوجود نظامًا وجمالًا؛ وهذا الجمال والنظام لا يصدر إلا عن موجد فنان هو الله[2].

ويعتبر "**توما الأكويني**" (ت:١٢٧٤م) من أهم فلاسفة العصور الوسطى الغربيين الذين اعتمدوا على دليل النظم والغائية بصورة واضحة، والذي لم يزل حاضرًا بفلسفته عند كثير من المفكرين واللاهوتيين.

فلقد ذكر الأكويني خمسة براهين على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى[3] تشترك في أنها تعتمد على الملاحظة والحس من خلال النظر في الكون وهي: برهان الحركة، والعلة الفاعلة (العلية)، والواجب

---

(١) راجع، الله فى فلسفة القديس توما الاكوينى، د. ميلاد زكى غالى، ص١٤، مصدر سابق.

(٢) انظر: فلسفة العصور الوسطى، د.عبد الرحمن بدوي، ص٢٧.

(٣) راجع: الخلاصة اللاهوتية، توما الأكوينيّ، ١/ ٣٢-٣٤، و: مجموعة الردود على الخوارج (فلاسفة المسلمين(المعروف بالخلاصة ضد الكفار، توما الأكوينيّ، ترجمة: نعمة الله أبي كرم الماروني، مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية (لبنان)، ١٩٣١م، ١/ ٤٥ وما بعدها.

والممكن، والتدرج في الكمال، وأخيرًا دليل الغائية أو النظم أو نظام الطبيعة أو العناية.

ولقد ذكر الأكويني دليل النظم على النحو التالي: "المنهج الخامس: من جهة تدبير الأشياء، فإنّنا نرى أن بعض الموجودات الخالية من المعرفة – وهي الأجرام الطبيعيّة – تفعل لغاية، وهذا ظاهر من أنّها تفعل دائمًا أو في الأكثر على نهج واحد إلى أن تدرك النهاية في ذلك، وبهذا يتضح أنها لا تدرك الغاية اتفاقًا بل قصدًا. على أنّ ما يخلو من المعرفة ليس يتجه إلى غاية ما لم يسدد إليها من موجود عارف وعاقل كما يسدد السهم من الرامي، فإذا يوجد موجود عاقل يسدد جميع الأشياء الطبيعية إلى الغاية وهذا الذي نسميه الله"[(١)].

فالأكويني يستند إلى أن الجمادات -الخالية من المعرفة- تتحرك لغاياتها المحددة التي وجدت من أجلها، ولا بد من وجود موجود عاقل ينسب إليه هذا القصد والتوجيه، وهو الإله.

كذلك فقد ذكر الأكويني صوره أخرى لهذا الدليل في كتاب آخر فقال: " إن الأشياء المتضادة المتنافرة يستحيل أن تتفق في نظام واحد اتفاقًا دائمًا أو أكثريًا، ما لم يكن ثم تدبير واحد يوجه جميع الأشياء إلى غاية واحدة، ولكننا نرى في العالم أشياء مختلفة الطبائع تجتمع في نظام واحد على نحو ليس نادرًا أو اتفاقًا، فلا بد إذن من وجود شئ يعتني بالعالم وهو الله تعالى"[(٢)].

(١) الخلاصة اللاهوتية، توما الأكويني، ١/ ٣٤.

(٢) الخلاصة ضد الكفار، توما الأكويني، ١/ ٦٥

المبحث الثالث: فكرة الغائية أو النظم (التصميم) في الفلسفة الحديثة.

برز في هذا العصر تياران مختلفان في مجال معرفة الله؛ تمثل **التيار الأول: بفلاسفة عقليين** مثل: ديكارت (ت:١٦٥٠م)، وباسكال (ت:١٦٦٢م)، وليبنتز (ت:١٧١٦م).

فديكارت(ت:١٦٥٠م)، استنتج وجود الله من الإدراك الواضح لمفهوم الله، على نحو ما نستخلص صفات المثلث من فكرة المثلث[1]، ويرى ديكارت أن فكرة الله قد غرست في الإنسان عند خلقه، لكي تكون علامة للصانع مطبوعة على صنعه[2].

ولقد كان **لبليز باسكال**(ت:١٦٦٢م) موقفًا من دليل النظم حيث رأى أنه لا يستطيع أن يقنع إلا المؤمنين![3]، ويري باسكال أن السبيل الوحيد للإيمان إنما هو القلب، فالعقيدة الدينية عنده تقوم على أساس من الخبرة الحدسية المباشرة لا على أي دليل منطقي آخر[4].

---

(١) انظر: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ديكارت، ترجمة د. كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م، ص١٢٢.

(٢) انظر: دراسات في الفلسفة الحديثة، د.محمود حمدي زقزوق، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٨٥م، ص١٠٦.

(٣) انظر: مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ص٢٣٠.

(٤) انظر: الزمان والأزل: مقال في فلسفة الدين، ولتر ستيس، ترجمة د. زكريا إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م، ص٣٠٨، ٣٠٩.

واعتمد على نظريته المعروفة ب"المراهنة"، ومفاد هذا الرهان أنه"مهما قلّت الدلائل على وجود الله، فإن العقوبة التي تنتظر الخاطيء هي أكبر، وأحكم الطرق وهى الإيمان بالله، لأنك لو كنت مصيبًا سنربح النعمة الكبرى ولو كنت مخطئًا فلن يكون هناك فرق، بينما إن لم تؤمن بالله وكنت مخطئًا فأنت محكوم للعنة الأبدية، وعلى ذلك فالقرار لا يحتاج لذكاء، عليك الإيمان بالله"[1].

أما **ليبنتز**(ت:١٧١٦م) فقد استخدم فكرة التناسق الأزلي أو التلائم في الاستدلال على وجود الله، وتعد هذه الفكرة شكلًا من أشكال برهان النظم والغائية.

---

(١) وهم الإله، ريتشارد دوكينز، ترجمة بسام البغدادي، مؤسسة البغدادي، ط٢، ٢٠٠٩م، ص١٠٦، و: نقد وهم الإله، غرور النقد واغراق الصنمية العلمانوية، عبد اللطيف الحرز، دار الفارابي بيروت، ط١، ٢٠١٦م، ص١٦٢.
ورأيه قريب من قول المعري:

قالَ المُنَجِّمُ وَالطَبيبُ كِلاهُما لا تُحشَرُ الأَجسادُ قُلتُ إِلَيكُما
إِن صَحَّ قَولُكُما فَلَستُ بِخاسِرٍ أَو صَحَّ قَولي فَالخَسارُ عَلَيكُما.

انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي بيروت، ط٢، ١٩٧٣م، ١/ ٤٦٣.

وتقـوم فكـرة هـذا البرهـان عـلى المونـادات[1]، فـيرى ليبنتـز أن المونادات متفردة ومستقلة بعضها عن بعض، ولا يوجد بينها أي شكل من أشكال التأثير المتبادل، مع تناسـب وتـلاؤم مـع حركـات المونـادات الأخرى، ويرى ليبنتز أن هذا التوافق بين المونادات لا يمكن تفسـير إلا بافتراض وجود خالق منسق وهو الله الذي هو أعلى المونادات.

وقد حدد الله سلفًا – عند خلـق المونـادات – التطـابق المتناسـب لكل المونادات بعضـها مـع بعـض لدرجـة أن تطـور كـل مونـادة مفـردة يتطابق مع تطور كل المونادات بدون أن يكون هناك بينها في الواقع حينئذ أي تأثير، وهذا هو ما يسميه بالتناسـق الأزلي، وبنـاء عـلى هـذه النظريـة الشهيرة يتطابق باستمرار مجموع المونادات التي يتكون منها جسم الكائن الحي مع المونادة القائدة وهي النفس.

ويوضح ليبنتز هذا التوافـق المسـتمر بضرب مثـال بسـاعتين تـم صنعهما في دقة تامة يستحيل معها الخطأ، فهما يسيران سيراً متشابهًا تمـام التشابه، ويدقان معًا في وقت واحد دون أن تؤثر إحـداهما في الأخـرى،

---

(١) هو مصطلح فلسفي اشتهر به الفيلسوف الألماني ليبينتز، وهي عبارة عن جواهر بسيطة لا جزء لها لا تقبل الامتداد ولا الانقسام، وهذه المونادات هي الذرات الحقيقية المكونة لعناصر الأشياء، والمونادات هي ذرات روحية وليست مادية
انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م، ٢/ ٤٥١، و: الموسوعة الميسّرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، كميل الحاج، مكتبة لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٥٨٣

فهذا التوافق التام قد حدده الصانع سلفًا عندما قام بصنع الساعتين على هذا النحو من الدقة، فكذلك الله سبحانه قد حدد في الأزل هذا التوافق المستمر بين المونادات بدون أن يكون لإحداها تأثير واقعي على الأخرى[1].

يقول ليبنتز عن التناسق البديع الموجود في الكون الذي يستدعي عقلًا مدبرًا: " ويلزم عن كمال المبدع أن لا يكون نظام العالم هو أكمل نظام ممكن فحسب، بل يلزم عنه كذلك أن كل مرآه حية تصور العالم من وجهة نظرها، أي إن كل مونادة أو كل مركز جوهري لا بد أن تكون إدراكاته ومنازعه منظمة على أفضل وجه، بحيث تتوافق مع سائر الأشياء في مجموعها "[2].

ويرى ليبنتز أن هذه الفكرة من أقوى الأدلة على وجود الله، وأولاها بالعناية والتدبر، من كل من يسعهم التعمق في هذه الأمور[3].

أما <u>التيار الثاني</u>: فيتمثل في الفلاسفة والأدباء والعلماء الذين

---

(١) دراسات في الفلسفة الحديثة، د.محمود حمدي زقزوق، ص١٦٨، وانظر: قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين، زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٩٣٦م، ١/ ١٨٧.

(٢) المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، ليبنتز، ترجمة: عبدالغفار مكاوي، دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٧٨م، ص ١١٥.

(٣) المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، ليبنتز، ص ١١٤.

أُطلـق عـلى تصـوّراتهم حـول الإلـه اسـم الـدين الطبيعـي[1]، وكـان مـن أشهرهم روبرت بويل، وجون ري، واسحاق نيـوتن، جـورج بـاركلي، فولتيير، ويليام بيلي، لويس أغاسي...وغيرهم.

والفكرة الرئيسة لدى هـؤلاء الطبيعيـين أن بالمقـدور معرفـة الله وحكمته عن طريق النظر الدقيق في الطبيعة، ولا حاجة –عندهم– مـن

(١) عرف الدين الطبيعي أو الربوبي أو التأليه الطبيعي بأنه: " الإعتقاد الفلسفي في إله يثبت بالعقل والشواهد- خصوصًا البرهان الغائي- دون قبول المعلومات الخاصة التي تفترض أنه أوحى بها في الإنجيل أو القرآن مثلًا". دليل أكسفورد للفلسفة، تحرير تد هوندرتش، ترجمة نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ٢٠٠٣م، ٢/ ١٤٠٤، وانظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا ١/ ٢٣١.

فأصحاب هذا الرأي يؤمنون بوجود خالق للكون يتسم بالخير والحكمة، ولكنهم ينكرون في الوقت نفسه الدين الموحى به من السماء، بل يزعمون أن الله كف عن التدخل في شؤون الكون بمجرد أن انتهى من خلقه، وتركه يسير بمقتضى مجموعة من القوانين التي لا تتبدل. انظر: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، سينا للنشر بالقاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص١١٦.

ويميّز جاكلين لاغريه بين الدين الطبيعي ودين الطبيعة بأن الدين الطبيعي "فكر الدين وممارسته كما يحدّدها العقل بالاستقلال عن أيّ وحي" أما دين الطبيعة فهو"الذي يحيل إلى أشكال تاريخيّة للأديان، حيث تعبد كائنات وعناصر للطبيعة، كالشمس والنجوم والينابيع.." انظر: الدين الطبيعي، جاكلين لاغريه، ترجمة: منصور القاضي، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر بيروت، ١٩٩٣م، ص١٠.

أجل ذلك إلى اللاهوت الوحياني، بل إن بعضهم هاجم التصور الوحياني للاهوت وأنكره.

وقد اهتم هؤلاء الطبيعيّون ببرهان النظم وإتقان الصنع وهدفية الطبيعة ونظامها والتنسيق في العالم، و"أن العالم بوحدة تصميمه، وتجانسه وانتظامه، والغائية المسيطرة على ظواهره وقوانينه، يدل على وجود إله حكيم يسيطر عليه"[1].

فقد قال روبرت بويل (ت: ١٦٩١م) إن العلم رسالة دينية تتمثل في الكشف عن أسرار الطبيعة التي أودعها الله في العالم، " **التصميم الممتاز** لذلك النظام العظيم في الكون، وبخاصة النسيج الغريب لأجسام الحيوانات، واستخدام حواسها، وأجزاء أخرى قد عدت الدافع الأكبر مما استقرأه الفلاسفة والعلماء في جميع العصور والشعوب، كي يقروا بإله خالق لجميع هذه البني العجيبة" [2].

ويؤكد جون ري (ت:١٧٠٥) في كتابه: "حكمة الله تتجلّى في آثاره" بالأدلة العلمية أن كل ما في الطبيعة والفضاء يدل على حكمة الخالق وإتقان الصنع، وذلك مثل حكمة الخالق في خلق هيكل نقّار

---

(١) انظر: الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، د.محمد عثمان الخشت، دار قباء بمصر، بدون، ص٢٥، و: مدخل إلى فلسفة الدين، د.محمد عثمان الخشت، دار قباء، مصر، ٢٠٠١م، ص٢٠، ٢١.

(٢) التدبير الإلهي: الأساس العلمي لعالم منطقي، بول ديفز، ترجمة محمد الجورا ، دار الحصاد بدمشق، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٢٦.

الخشب وقدميه ومنقاره، فهي منسجمة مع صعوده الشجرة وحطه على جذوعها.

وانبرى **اسحاق نيوتن** (ت:١٧٢٧م) في كتاب:البصريات للدفاع علميًا عن النظام في العالم ودلالته على حكمة الخالق، ورأى أن العناية الإلهية ضرورية لإصلاح النظام في العالم والمحافظة عليه، ورأى أنه لا يمكن إنكار وجود الله في وجود كل هذه العظمة في الخلق[١].

وقد عبر نيوتن عن اندهاشه من تصميم المجموعة الشمسية وكتب" إن هذا النظام الأخاذ الذي يحكم الشمس، والكواكب، والنيازك لا يمكن أن ينبثق إلا من مشورة وسيادة كائن ذي **ذكاء** وقوة"[٢].

وكذلك **جورج باركلي** (ت:١٧٥٣م) فقد استدل بدليل النظم حيث يرى أننا لسنا بحاجة إلى أن نثبت وجود الله بالمعجزات الخارقة لقوانين الطبيعة، لأن ثبات هذه القوانين وانسجام الأفكار وتنظيمها تدل على قوة الله أكثر مما تدل عليه الخوارق[٣].

---

(١) انظر: العلم والدين، آيان بربور، ترجمة بهاء الدين خرمشاهي، مركز النشر الجامعي، ط٢، ١٩٩٥م، ص٤٥.

(٢) انظر: لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، نورمان ل جايسلر، فرانك تورك، ص١٠٨، و: التدبير الإلهي، بول ديفز، ص٢٢٥.

(٣) انظر: مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، ط١، ١٩٧٥م، ص٢٢٨.

وكذلك **فوليتير**(ت:١٧٧٨م) –في الفترة الأولى من حياته– إذ رأى في نظام الطبيعة دليلًا كافيًا يجعلنا نؤمن بالله، وعارض الماديين في تفسيرهم لنشأة الكون عن طريق قوانين المادة[1].

كذلك فقد استنتج **ويليام بيلي**(١٨٠٥م) دليل النظم من ملاحظة النظام والتصميم في الموجودات الحية، فقد ذكر في كتابه اللاهوت الطبيعي عدة نماذج لظواهر طبيعية، منها آلية عمل العين، والعضلات والغدد الصفراوية، وجمال الأشياء الطبيعية، وتنوع الحيوانات...، واستنتج بأنها دليل متين على النظم لا يمكن غضّ الطرف عنه.

فمثلًا آليّة عمل العين؛ تحدث فيها عن مجموعة من الفعاليات المعقدة بين مختلف الأجزاء حتى تتم الرؤية، واستدل بأن ذلك لا يتحقق إلا في حالة فرض ناظم ومدبر خلف الطبيعة نسق بين الأجزاء لأجل هدف الرؤية.

وكذلك يقارن "ويليام بيلي" العين بالساعة ويستدل بأنه لو كان هناك شخص يعيش في جزيرة وحده، وإذا بساعة يد تسقط أمامه، فإنه سيذعن بفرضية أن هذه الساعة مصنوعة من قبل **عالم ذكي**، والشيء نفسه يقال عن العالم الطبيعي، فمثلما أن أجزاء الساعة المختلفة متناسقة فيما بينها لتحديد الوقت، وصنعت وجمعت لهدف محدد؛ أي إنها مثلا

(١) انظر: الفكر الأوربي في القرن الثامن عشر، بول هازار، تحقيق محمد غلاب، دار الحداثة، ط٢، ١٩٨٥م، ٢/ ٥٢.

مصنعة ومهيأة بحيث تنتج عنها حركة، وهذه الحركة في غاية الانتظام بحيث تتمكن من الإشارة إلى الوقت بدقة.

وينبه بيلي إلى أنه لو اختلف شكل الأجزاء عما هو عليه، أو اختلف حجمها، أو تم تركيبها على شكل مختلف أو بترتيب مختلف، لما نتجت عنها أي حركة، أو لنتجت عنها حركة لا تؤدي إلى تحقيق الهدف الذي جمعت معا من أجله، وأنه لا يجب علينا فهم كيفية عمل كل جزء من الأجزاء على حدته، أو إدراك كيفية عمل الهيكل ككل حتى نرى أنه وليد النظم، فقدرة الموجود على صنع نفسه مجددا هو علامة على نظم خلق ودقيق، حتى وإن برزت بعض موارد النقص أو اللانظم في البناء، فإن ذلك أيضًا لا يدل على أنها من دون ناظم[١].

ويستنتج بيلي مما سبق أن هذا التناسق إنما هو وليد صانع ومخترع، كذلك العالم الطبيعي، غير أننا لا نشاهد أي ناظم أو مهندس، ولهذا افترضنا أن يكون هناك ناظم ومهندس متخف وراء هذا العالم[٢].

وكذلك جان لويس رودولف أغاسي (ت: ١٨٧٣م) فقد ذكر أن العالم الحي: "يُظهر أيضًا كل من التصميم المسبق، والحكمة، والعظمة، وعلم الغيب، والعلم بكل شيء، وبُعد النظر؛ جميع هذه الوقائع تنادي

(١) قارن هذه الفكرة بالتعقيد الغير قابل للاختزال التي قال بها مايكل بيهي في استدلاله على نظرية التصميم الذكي بعد ذلك.

(٢) انظر: بداية اللانهاية: تفسيرات تغير وجه العالم، ديفيد دويتش ص٩٣- ٩٥، و: لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، نورمان ل جايسلر، فرانك تورك، ص١٠٨.

جهارًا بالله الواحد، الذي قد يعرفه الإنسان والذي لابد أن يصبح التاريخ الطبيعي، في وقت مناسب، تحليلًا لأفكار خالق الكون المتجلي في مملكتي الحيوان والنبات بقدر ما هو متجلٍ في العالم اللاعضوي"[١].

ويبين مايكل دانتون[٢] مدى انتشار هذا التفكير في ذلك الوقت، حتى بين أفراد المجتمع العلمي، فيذكر أن في الإصدار الأول من **صحيفة "لندن لعلم الحيوان"**، والتي تأسست عام ١٨٢٤م، أكد رئيس التحرير في العدد التمهيدي على فكرة أن دراسة الطبيعة تظهر حكمة الله، وتشير إلى المكانة الخاصة التي يشغلها الإنسان في المرتبة الطبيعية للعالم: "إن العالم في الطبيعة يرى العلاقةَ الجميلة المتواجدة ضمن كامل خطة الطبيعة الحية، فيتتبع علاقة تعايش متبادل المنافع، التي تقنعه أن لا شيء يصنع عبثًا، ويشعر أيضًا أنه، وعلى رأس كل هذا النظام ذو الترتيب والجمال، يقف الإنسان، ذلك المخلوق المفضل لدى خالقه، مكرمًا بنعمة الفهم"[٣].

---

(١) انظر: التطور نظرية في أزمة، مايكل دانتون، ترجمة د.آلاء حسكي، د.مؤمن الحسن، مهند التومي وآخرون، مركز براهين، ط١، ٢٠١٧م، ص٢٣.

(٢) مايكل دانتون: حصل مايكل دانتون على شهادة الطب من جامعة بريستول في عام ١٩٦٩م، وعلى درجة الدكتوراه من جامعة كينجز بلندن في عام ١٩٧٤م، عمل بقسم الكيمياء الحيوية في جامعة أوتاجو في دانيدن بنيوزيلندا في الفترة من ١٩٩٠ إلي ٢٠٠٥م، وأصبح لاحقًا باحث علمي في أمراض العيون الوراثية، وهو متحدث شهير في علم الوراثة والتطور وحجة التصميم والمبدأ الإنساني، يعمل دانتون حاليًا كزميل في مركز الثقافة والعلوم بمعهد ديسكفري، انظر: التطور نظرية في أزمة، مايكل دانتون ص٥.

(٣) انظر: التطور نظرية في أزمة، مايكل دانتون، ص٢٣.

المبحث الرابع: فكرة الغائية أو النظم (التصميم) في القرن العشرين.

استنتج اللاهوتي الأمريكي **ويليام هـوارد دورهـام** (ت:١٩١٢م) التصميم والغائية في الكون من النظر في الفضـاء؛ حيث رأى أن مـدار السيارات والكواكب والنجوم المتعاقبة يثبت أن المنظومة الشمسية قائمة على أساس هندسة وتدبير، وليست وليدة ضرورة الطبيعة أو الصـدفة، كما اعتبر دورهـام خلقـة المعـدة وعملهـا آيـة عجيبـة ومـرآة ليـد الخـالق المبدع[1].

كـــذلك يـــرى اللاهـــوتي البريطـــاني **فريـــدريك روبـــرت تينانـت**(ت:١٩٥٧م) المحـاضر بكليـة ترينيتـي جامعـة كامبريـدج: أن وجود الإله ضروري لفهم الغائية والتصميم في الكون، وقد ذكر تينانت في كتابه الفلسفة الإلهية خمسة عوامل تنتهي إلى أن التوحيد الإلهي هو أكبر الفرضيات التي يمكن تبنيها لفهم العالم باعتباره إفراز عقـل وتصـميم إلهي، وهي:

١. التكيف الدقيق بين الفكر والأشياء (أي بين الـذهن والعـالم الخارجي)، بحيث إن الطبيعة هي عبارة عن بناء معقول قابل للفهم.

٢. السـعي نحـو التطـوّر والتكامـل والرقـي لمختلـف الحـوادث وهدايتها جميعا.

---

(١) انظر: الكلام الجديد، علي اسماعيل عفوان، مركز الدراسات، بيروت، ط١، ٢٠١٥م ص٣٧.

٣. الاستعداد الظاهري للعالم غير الآلي، فهو مرآة ومظهر لبروز الحياة وبقائها، ومن البعيد جدا أن يكون قد نتج عن الصدفة والاتفاق.

٤. عامل البعد الجمالي: يتميز العالم بمظاهر جمالية عالية، ويحمل الكثير من القيم، وليس معنى هذا الكلام أنه يفرز أشياء ذات قيمة فحسب، بل كالتراب إلى يمكن أن يتحول إلى العقيق والحجر الكريم، إنه يمثل بنفسه مظهرا جماليا راقيا، وهذا العالم الجميل لا ينبع إلا من خلال الترابط مع موجودات تحمل هذا الحس الجمالي، ففي حين يمكن الإشارة إلى أن بناء العالم قائم على قوة عاقلة هائلة يكفي النظر إلى القيم الذاتية للعالم فقط كي تسوقنا نحو معنى العالم.

٥. بما أن الطبيعة توجد موجودات أخلاقية، فهي مؤثرة في الحياة الأخلاقية كذلك...وبوسيلة الفواعل الأخلاقية التي تسير نحو المثل فهي قابلة للتغير.

وبعبارة أخرى: يساعد هذا العالم الحياة الأخلاقية الإنسانية، أو يمكن اعتبار كل عملية طبيعية بصورة عقلانية على أنها آلة لتغير الموجودات الأخلاقية والعاقلة وتطورها.

ويستنتج تينانت مما سبق أن هذه العوامل الخمسة إذا أخذناها وحدة واحدة، سنخلص لا محالة إلى أن هذا العالم وليد النظم الإلهي، وبما أن هذا النظم ممزوج بالغرض الإلهي فسيكون ذا قيمة مُرضية.

أي أن هــذه العوامــل الخمســة تشــير إلى التكــاتف والــتلاحم والتناغم في العالم، بحيث يقودنا هذا التكاتف إلى أن هناك مدبرا وناظما يختفي وراء هذا العالم[1].

وأما باول إدواردز أستاذ الفلسفة بعدة جامعات أمريكية وصاحب موسوعة الفلسفة(ت:٢٠٠٤م): فقد ذكر دليل الغاية معتمدًا على النظرة الكلية لهيكل الكون، فيقول تحت عنوان "الدليل الناظر إلى العالم بنظرة كلية": "بدلا من دراسة الموارد الجزئيّة للنظم الكائن في العالم، يمكننـا التعاطي معه على أنه وحدة واحدة، فيسهل طرح الادعـاءات المخالفـة، وهناك طرق مختلفة للقيام بهذا العمل، إذ يمكننا النظر إلى كل العالم على أنه وسيلة لأجل هدف متعالٍ، وفي مقدورنا أيضًا ملاحظة العالم كنسيج من البناءات المتراصة بنمط واحد وبشكل متماسك، مما يؤدي إلى الحفاظ على نظمها.

وتقودنا رؤية العالم على أنه وسيلة إلى أتقن البراهين، فمصنوعات من قبيل الساعة والبيت والسفينة أنتجت لأجل تحقيق أغراض خارجة

---

(١) انظر: الكلام الجديد، علي إسماعيل عفوان، ص٤٦، نقلًا عن: الفلسفة الإلهية، تينانت

See: Philosophical Theology: The world, the soul, and God, Frederick Robert Tennant, Cambridge University Press,1968, Volume 2 p,121.

وانظر: دراسات في علم الكلام الجديد، حسن يوسفيان، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ٢٠١٦م، ص١١٣.

عن نظامها الداخلي، كما أن لكل منها هدفا خاصاترومه، أما إذا أخذنا العالم بنظرة كلية كوحدة واحدة يروم هدفا عاما يناسبه، فسنجد أنّ هذا التشبيه هو دليل متين ومتقن، ولو حمل هذا الهدف أسمى وأرقى القيم، فسيكون لدينا مبدأ ننسب من خلاله الخير المطلق إلى ناظم العالم"[1].

كذلك فإنه ينتقد مخالفيه فيقول: "إذا فرضنا بناء العالم على أنه وحدة واحدة، فلا يمكن للعلوم التجريبية أن تُبدي رأيا في هذا المورد؛ ذلك لأنّ مجال العلوم التجريبية محدود بأجزاء من النظم الداخلي للعالم المادي.

يعجز العلم التجريبي عن الإجابة عن السؤال: لماذا العالم وحدة واحدة؟ ولماذا هو بهذا الشكل وليس بشكل آخر؟ لأن المجال الوحيد الذي في استطاعة العلم التجريبي الرد فيه على الأسئلة هو الحقل الذي تتأتى فيه التجربة، أين يمكن للإنسان أن يلحظ العلاقة الكائنة بين ظاهرتين مختلفتين كدرجة الحرارة والغليان، أما أن يلحظ العلاقة بين العالم المادي كوحدة واحدة وبين أمر خارج عنه فهذا صعب مستصعب لا يناله البيان العلمي، وإنما تتعهد بذلك النظرة التوحيدية، إذ هي السبيل الوحيد في ذلك"[2].

---

(١) انظر: الكلام الجديد، علي إسماعيل عفوان، ص٧٦.
(٢) انظر: الكلام الجديد، علي عفوان، ص٧٦،٧٧.

وأما الفيلسوف المعـاصر **ديفيد أرثر بايلين** أسـتاذ فلسـفة الـدين بجامعة مانشستر(المولود سنة ١٩٣٦م) فيرى أن دليل النظم غـير دليـل الغاية؛ والفرق بينها أن دليل النظم يرتكز على العلامات الظاهرية التي تبدو من خلال الموجودات الطبيعيـة، بينـما لا يهـتم دليـل الغايـة بـالنظر والتأمل في البناء وواقعيته، بل يروم الهدف والغاية بالأساس.

أ) دليل النظم عند بايلين:

يرى بايلين أن التأمل في عالم الطبيعة وموجوداتها يهـدينا إلى أنهـا واقعة تحت هيمنة نظم دقيـق، وهـذا الـنظم لا يمكـن أن يحصـل بذاتـه، وعليه تكشف هذه الحيثية التي يتميز بها الكون على وجود عالم متعالٍ هو علة إيجاد أجزاء هذا العالم، حيث يُعرف هذا الموجود المتعالي باسم الله.

ويـرى بـايلين أن الـذين يـدعمون هـذا الـدليل يسـتدلون عليـه بمختلف الاكتشافات العلمية الحديثة، ويرون أنها مصداق بارز للنظم.

ب) دليل الغاية عند ديفيد بايلين، ويقوم على أمرين:

الأول: أن النسيج العام للكون يرمي تحقيق هدف وغاية مناسبة، والثاني: أنه من الصعب جدا الاعتقاد بأن هذا العالم بهذا البناء العجيب هو وليد قوى عمياء وأحداث عشوائية.

فالميزة الأساسية للعالم تشير بدقة إلى أنه وليد إرادة عالمة تسوقه نحو هدف وغاية قيمة، وهذا الأمر يقبله العقل السليم[1].

وبشكل عام، فقد اهتم هؤلاء الفلاسفة والعلماء ببيان الغائية والنظام في الكون بأشكال مختلفة، كما أطلق على هذا الدليل أسماء عديدة، يرى معظمهم أنها أسماء مختلفة لدليل واحد، بينما يرى الآخرون أنها مختلفة فيما بينها، حتى وإن كان هذا التفاوت قليل.

---

(١) انظر: أسس فلسفة الدين، ديفيد إيه. بايلين، ترجمة: محمود موسوي، قم، ط١، ٢٠٠٤م، ص٣٢٧، وانظر: العلم والعناية الإلهية: جون سي. بولكينهورن، مكتبة العلوم الجديدة، ١٩٨٩م، ص٢١.

الفصل الثالث: الاعتراضات التي أثيرت على فكرة التصميم والنظم والغائية.

وجهت عدة اعتراضات لفكرة النظم والتصميم عبر العصور؛ منها مشكلة الشر، واعتراضات ديفيد هيوم، وعمانوئيل كانط، الذين وجها اعتراضاتهم لبرهان النظم ولكافة براهين إثبات وجود الله تقريبًا، أو أطلقوا مناهج أضحت فيما بعد أساسًا لنقد البراهين، وكذلك نظرية التطور الداروينية.

المبحث الأول: مشكلة الشر.

استند معظم من أنكر النظم والغائية والتصميم في العالم على فكرة الشر فيما ذهب إليه؛ فإذا كان العالم يخضع للتدبير والعناية والنظم فكيف يتم تفسير ما فيه من الألم والمِحَن والشرور من زلازل وأمراض وكوارث وأوبئة؟

وكيف يمكن أن يقال أن العالم منظم مع هذه الفوضى الموجودة في الكون؟ فإذا كان الإله كلي المعرفة يعرف كل ما حدث ويحدث وما سيحدث، وكلي القدرة يستطيع أن يفعل كل ما يريد، وكلي المحبة والخيرية والرحمة، فلماذا سمح بوجود الشر، وجعله قانونا من قوانين الحياة، ولماذا وجد الشر في هذا العالم؟!

لقد قدمت حلول كثيرة في تاريخ الفكر الفلسفي للخروج من هذه المعضلة يتعلق معظمها بتصور الإنسان للإله؛ فبعضها أنكر الإله،

وبعضها أنكر وحدانيته، وبعضها أنكر عموم قدرته... وغيرها من الحلول، وسأقتصر في هذا المبحث على ما يفيد البحث.

فمن أنكر منهم وجود الإله رأى أن وجود الشر في هذا العالم يبطل أي دور للإله في هذا الكون، فلا يمكن اجتماع وجود الإله مع الشر، مع ضرورة أن يستأصل جميع **الشرور** من العالم إن كان خيرًا.

يقول **أبيقور**(ت: ٢٧٠ق.م): "إما أن الإله يريد زوال الشر، ولكنه لا يقدر على ذلك؛ وإما أن يقدر على ذلك ولكنه لا يريد، وإما انه لا يريد ولا يقدر، وإما أنه يريد ويقدر؛ فإذا كان يريد ولا يقدر فهو عاجز، وإن كان يقدر ولا يريد فهو حاسد، وإن كان لا يريد ولا يقدر فهو حاسد عاجز وإن كان يريد ويقدر، فلماذا وجدت الشرور؟"[1].

وبصياغة أخرى لمعضلة الشر عند أبيقور: "هل يريد الله أن يمنع الشر لكنه لا يستطيع، لو صح ذلك فلن يكون كلي القدرة، أم يستطيع

(١) فلسفة الدين، إدجار شيفلد برايتمان، ترجمة عماد الدين عبدالرازق، دار التيسير بيروت، ٢٠١٥م، ص ٢٨٩، وانظر: القضية...الإيمان، لي ستروبل، ترجمة حنا يوسف، مكتبة دار الكلمة بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص٢٩، وانظر: أبيقور مؤسس المدرسة الأبيقورية، كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٤١.

لكنه لا يريد، لو صح ذلك فلن يكون كلي الخيرية، أم أنه قادر ويريد في آن واحد، فمن أين إذاً يجيء الشر؟"[١].

ويرى الفيلسوف الألماني، المعروف بفلسفته التشاؤمية آرثر **شوبنهور** (١٨٦٠م): أن عالمنا أسوء العوالم الممكنة[٢]، وانتقد كل محاولة تهدف إلى إثبات وجود الإله[٣].

وكذلك الفيلسوف البريطاني **برتراند راسل** (ت:١٩٧٠م)؛ فقد رأى في وجود الشر الطبيعي برهانًا ساطعًا على عدم وجود إله، وشطح بعيدًا جدًا حين أخذ من وجود الشر دليلا ليس فقط على عدم حكمة الإله وانعدام رحمته، بل اعتبره دليلا على اتصاف الإله به، فبما أن الإله أوجد الشر فلابد وأن يكون هو شرير، فقال: "إن الموجود الذي يمتلك القدرة المطلقة، والذي خلق عالما يحتوي على الشر ليس بسبب الخطايا، فلابد وأن يكون هو نفسه شرير جزئيًا"[٤].

---

(١) مشكلة الشر، لدانيال سبيك ترجمة سارة السباعى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦م، ص١٣.

(٢) انظر: العالم إرادة وتخيل، شوبنهور، جمع هذه النصوص أحمد معوض في كتابه شوبنهور، الدار العربية لنشر الثقافة العالمية، ط١، ١٩٦٠م،١/ ٤١٩.

(٣) انظر: الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، تحقيق: فؤاد كامل، مكتبة غريب بالقاهرة، ١٩٧٣م، ص٣٦٢.

(٤) نقلا عن كتاب نظرية التطور الداروينية: خرافة باسم العلم، طالب الجنابي، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٩٨٩م ص٢٧٩.

ومن ثم فقد سخر برتراند راسل من أولئك الذين يجدون في هذا العالم دليلاً على وجود إله كامل القدرة والمعرفة، فلو كان هذا الإله يملك هذه الصفات؛ لما احتاج إلى ملايين السنين لصنع عالم على هذا النحو؛ فالعالم يقف وراءه مصادفة بحتة لا قصد إلهي، ولو افترضناه نتيجة قصد ما، فلابد أن يكون قصد عدو حاقد[1].

وكذلك الفيلسوف الاسترالي جون ليزلي **ماكي**[2](ت:١٩٨١م) فقد رأى أن وجود الشرّ لا ينسجم مع بعض الصفات الإلهية؛ مثل: العلم المطلق، القدرة المطلقة، وإرادة الخير المحض.

حيث يقول: مسألة الشرور في أبسط صورها على النحو الآتي: "الله قادر مطلق" و"الله خيّر مطلق"، ومع ذلك "الشر موجود" ثلاث قضايا متناقضة؛ بحيث إذا صدقت اثنتان منها، فإنّ الثالثة كاذبة

ويؤكد ماكي أنّ الإله الفاقد لهذه الصفات لا يمكن له أن يكون إلهًا حقيقيًا ويبني على ذلك إنكار وجود الإله[3].

---

(١) انظر: المقدمة في فلسفة الدين، أديب صعب، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٥م، ص٢٠٣.

(٢) جون ليزلي ماكي(١٩١٧-١٩٨١م): كان أحد أساتذة أكسفورد من الفلاسفة التحليليين، اختص في دراسة فلسفة الدين والميتافيزيقا وفلسفة اللغة والأخلاق، له العديد من الكتب التي تدور حول قضية الإيمان بالله والإلحاد. انظر: الدليل الكوني علي وجود الله، مقالات من البحوث الغربية المعاصرة عن الله في فلسفة الدين، د. سعيد فوده، وبلال النجار، دار الأصلين، ط١، ٢٠١٦ م، ص٧٥.

(٣) الشرّ والقدرة المطلقة، لجون ماكي نقلا عن مشكلة الشر، لدانيال سبيك، ص٣٧.

ويذكر سبيك أن أقوى الردود على ماكي هو رد آلفين بلانتينجا، المعروف باسم دفاع الإرادة الحرة، والتكتيك الرئيس الذي استخدمه بلانتينجا في دفاعه، لا يقوم على إثبات صدق أو إمكانية تحقق كل فرضية من الفرضيات الإيمانية الاعتقادية الأربع الأولى (الله موجود-كلّي المعرفة-كلّي القدرة-كلّي الخيرية)، بل إن هذا التكتيك ينبني على إثبات توافق تلك الفرضيات من جهة مع الفرضية الخامسة (وجود الشر) من جهة أخرى.

وقد قام بلانتينجا بتقسيم خطته الدفاعية إلى مرحلتين متمايزتين، في الأولى يميل للشكل الدفاعي الصارم، حيث يطلب من مؤيدي ماكي إثبات بأن الفرضيات تحتوي على تناقضات بين بعضها البعض.

لتوضيح تلك النقطة، يقول سبيك إن أحد فرضيات ماكي في نظريته تؤكد على أن "الكائن الخيّر يمحو الشر بقدر ما يستطيع". فإذا ما افترضنا أن الصداع الذي يصيبني، هو شر، فإنه بالطبع يمكن للطبيب من أن يقضي على هذا الصداع بشكل مؤكد في حال قام ببتر رأسي. ولكن الطبيب لو فعل ذلك، فإنه لن يدل على خيرته، لأنه ببساطة قد قضى على خير أكبر. ومن هنا فإنه يمكن القول إن فرضية ماكي يمكن أن نعدلها لتصبح كالآتي: "الكائن الخيّر يمحو الشر بقدر ما يستطيع، شريطة أنه إذ يفعل ذلك، لا يدمر خيراً أكبر أو يخلق شراً أسوأ".

أما المرحلة الثانية من دفاع بلانتينجا، فهي أكثر إثارة وقوة وعنفاً، ويمكن اختصارها، بأن الله عزّ وجلّ لما خلق البشر، قد منحهم إرادة حرة كاملة، وبموجب تلك الإرادة إختار البشر ما يريدون، فنجدهم في بعض الأحيان ينزعون إلى الخيارات الخيّرة، وفي أحيان أخرى يتجهون للخيارات الشريرة.

إذن، بحسب بلانتينجا، فإنه كان من المستحيل أن يتم خلق عالم فيه إرادة حرة من دون أن يكون فيه شرور، فالله خلق وأوجد إمكانية الوقوع في الشر، ولكن من صنعوا الشر فعلا هم البشر. انظر: مشكلة الشر، لدانيال سبيك، ص٤٢ وما بعدها.

وكـذلك الفيلسـوف البريطـاني **أنتـوني فلـو** (ت:٢٠١٠م) – في الفترة الأولى من حياته[1]– فإنه نظر إلى مشكلة الشر على أنها مـن أقـوى أدلة الملحدين والمشككين؛ إذ إن عدم إرادة الإله إزالة الشر يتعارض مع

---

(١) تراجع أنتوني فلو عن معظم هذه الآراء في كتابه: هناك إله، كيف غير أشرس ملاحدة العالم أفكاره، ترجمة جنات جمال، الناشر: مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية، ٢٠١٧م.

وذكرنا رأيه هنا لأنه يعبر عن ما يدور في تلك الأوساط العلمية.

لذا فإن أنتوني فلو قال بعد تراجعه عن إلحاده: "لقد ذكرت في بعض كتاباتي الإلحادية المتأخرة، أنني توصلت إلى استنتاج عدم وجود إله بتسرع وعجلة أكثر مما ينبغي ولأسباب بدت لي فيما بعد أنها مغلوطة مع أنني أعدت النظر مرارا في هذا الاستنتاج – السلبي– وتلك الأسباب متوسعا في دراستها، لكن إلى ما يقرب من سبعين سنة بعد ذلك لم أجد أسبابا كافية، أو أرضا صلبة تدفعني لتسويغ أي تراجع جوهري عن فكري الإلحادي، واحد من هذه العوامل المبكرة لاعتناقي الإلحاد كانت مشكلة الشر..."، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبرج، ص١٩٦.

وقال أيضًا: "من المؤكد أنّه لا بدّ من مواجهة وجود الشر والألم، ولكن، فلسفيًا، يُعتبر هذا الموضوع منفصلًا عن السؤال عن وجود الله، فمن وجود الطبيعة نفسها نحن نصل إلى أصل إيجادها، ربما للطبيعة عيوب، ولكن ذلك لا يدلّ البتّة إن كان لها مصدر نهائي أم لا، وبالتالي فوجود الله لا يرتبط بوجود الشر السائغ أو غير السائغ" هناك إله، أنتوني فلو، ص١٥٦.

صلاحه الكلي، فإن أراد ولم يستطع فإن ذلك يقدح بقدرته المطلقة، ولـو وجدت هذه القدرة لصنعت عالمًا لا يقيم فيه إلا الفاضلون[1].

وعـلى نفـس المنـوال الفيلسـوف الأمريكـي **ويليــام إل**. رو(ت: ٢٠١٥م)، حيث يستدل على عدم وجود الإله، بعـدم تدخلـه في إيقـاف الشرور الموجودة في العالم، وقد ضرب رو، مثالين لعرض نظريته، الأول مثال متخيّـل، يقـول بـأن هنـاك ظبيًـا حـاصره حريـق ضـخم في الغابـة، وأُصيب بجروح خطيرة عدة، ولكنه لم يمت إلا بعد أن ظل فترة طويلة في معاناة وألم.

أمـا المثـال الثـاني، فهـو مثـال حقيقـي وقـع عـام ١٩٨٦م بولايـة ميتشيجن، عندما تعرضت فتاة في الخامسة من عمرها للضرب بوحشية، واغتصبت وخنقت حتى الموت على يد صديق والدتها.

وتتبلور حجة "رو" الرئيسة في القول: إنه لو افترضنا وجود إله مراقب لتلك الحادثتين، فلماذا لم يتدخل لمنعهما، ولمـاذا سـمح بحـدوث الشر المتمثل في كل ذلك الألم والمعاناة، هذا مع كونه موصـوفًا بأنـه كـلي

---

(١) انظر: المقدمة في فلسفة الدين، أديب صعب، دار النهار للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ص٢٠٣.

القدرة وكلي الخيرية، ويرى رو في عدم تدخل الإله لإيقاف تلك الشرور، دليلا على عدم وجوده[1].

(١) مشكلة الشر وبعض صنوف الإلحاد، ويليام إل. رو، نقلا عن مشكلة الشر، لدانيال سبيك، ص٧٨، ٧٩.

وبعد أن يطرح سبيك حجة رو، فإنه يبدأ في عرض الحجج المناهضة لها والتي وجهت نقدًا لاذعًا لها، فيبدأ ببيان رأي ستيفن وايكسترا، المسمّى بالاستنتاج المستند إلى عدم الرؤية.

حيث يرى وايكسترا أن عدم ظهور بُعد أخلاقي يترتب على الشرور التي عرضها "رو" في مثاليه، ليس دليلا على عدم وجود خالق، ويستشهد على ذلك بمثالين: الأول هو لاعب الشطرنج المبتدئ الذي يشاهد بطل العالم كاسباروف وهو يضحي بوزيره خلال اللعبة. أما المثال الثاني فهو عالم الفضاء الذي يراقب المجموعة الشمسية بعناية واهتمام، ثم يخرج على العالم، زاعماً أنه أثبت بها لا يدع مجالاً للشك بأنه لا وجود لما يسمّى بالكائنات الفضائية.

في الحالتين، يرى وايكسترا، أن المشكلة قد نتجت من خلال جهل المشاهد أو ضعف قدرته على التمييز أو بساطة أدواته المعرفية. فلاعب الشطرنج المبتدئ لا يعرف أن كاسباروف قد قام بحركته، في سبيل الانتصار في المعركة كلها، كما أن عالم الفضاء قد خصّص أبحاثه لدراسة نقطة دقيقة وصغيرة جدًا في الكون الرحب المتسع، ولا يمكنه أن يخرج من دراستها بنتائج مطلقة أو عامة.

ويلخّص سبيك النتائج التي توصل إليها وايكسترا، بقوله "يقاوم المؤمن الشاك استنتاج رو مبدئياً، لأنه شاك في حقيقة وجوه الخير، أي إنه شاك حول ادعاء أنه يجب أن يكون لدينا بعض الثقة في قدراتنا الإنسانية، على التوصل إلى مدخل معرفي إلى

وهكذا نجد أن هذا الاتجاه استند إلى وجود بعض الآلام والشرور في إنكار وجود إله لهذا الكون، ولم يعتد بالنظم الدقيق في هذا الكون في إثبات وجود تعالى.

أما الاتجاه الثاني: فقد كان حله لمشكلة الشر بأن أنكر الوحدانية ونسب الشر إلى إله آخر:

فالمجوس " أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما النور والآخر الظلمة، وبالفارسية يزدان وأهرمن"[1].

ويمكن تصوير العلاقة بينهما على أنها صراع مستمر بين الخير والشر، تنتهي نتيجته بانتصار إله الخير.

وكذلك المانوية فالعالم عندهم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا[2].

لكن إله الخير عندهم مساو لإله الشر في القدرة والأزلية، فلا يتغلب أحدهما على الآخر.

أنواع المبررات الموجودة لدى الله"، انظر: مشكلة الشر، لدانيال سبيك، ص٩١ وما بعدها.

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت، لبنان١/ ٢٣٢، و: انظر دائرة معارف القرن العشرين ٨/ ٤٤٦.

(٢) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني ١/ ٢٤٤.

وكـذلك المزدكيـة إلا أنهـم يـرون أن "النـور يفعـل بالقصـد والاختيار، والظلمة تفعل على الخبط والاتفـاق، والنـور عـالم حسـاس، والظلام جاهل أعمى، وأن المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصـد والاختيار"[1].

وكذلك الديصانية "أثبتوا أصـلين نـورا وظلامـا؛ فـالنور يفعـل الخير قصدا واختيارا، والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا، فما كان مـن خير ونفع وطيب وحسن فمن النور، وما كان من شر وضرر ونتن وقبح فمن الظلام.

وزعموا أن النور حي عالم قادر حساس دراك ومنه تكون الحركة والحياة، والظلام ميت جاهل عاجز جماد مـوات لا فعـل لـه ولا تمييـز، وزعموا أن الشر يقع منه طباعا وخرقا"[2].

وبهذا أصبح الشر عند الثنيوية "لا يمثل مشكلة بالنسبة لأتبـاع الديانات التي تؤمن بتعدد الآلهة فطبقا لهذا الاعتقاد أن الحياة في العالم الإنساني مرتبطة ارتباطا وثيقا بما يجري في عالم الآلهة فإذا كان عالم الآلهة نفسه مزيجا من الخير والشر فبعض الآلهة هي مثل البشر تتعامل بطريقة

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ٢٤٩.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ٢٥٠.

شريرية فلماذا إذا أن يكون عالم السلوك الإنساني مختلفا عن ذلك إذا كانت تحكمه مثل هذه التأثيرات الشريرة؟"[١].

وهكذا نجد أن هذا الإتجاه قسم الموجودات منذ البداية إلى مجموعتي الخير والشر وبينهما صراع، لكن الواقع يشير إلى عدم وجود (الشر المطلق) في عالم الوجود، فبعض الشرور نسبية قد تكون شرًا من جهة، وخيرًا من جهة أخرى، فالإنسان قد يعتبر الحشرة مثلًا شرا لأنها تؤذيه، ولكن الحشرة في حد ذاتها لها فوائد كثيرة مثل تلقيح النباتات.

وبعض الشرور قد ينظر إليها أنها عدمية مثل الفقر فهو عدم المال، والجهل وهو عدم العلم، والعدم ليس بشيء على التحقيق، فلا يحتاج إلى موجد.

وكذلك **لا معنى للخير إلا بوجود الشر**، فالشر لا يناقض الخير في جوهره، ولكنه جزءٌ مُتمِّم له، أو شرط لازم لتحقيقه، فلا معنى للشجاعة بغير الخطر، ولا نعرف لذَّة الشِّبَع بغير ألم الجوع.

وأما الاتجاه الثالث: **فقد أقر بوجود الإله لكنه وصفه بالعجز وعدم شمول قدرته**.

وهم يتساءلون دائمًا لماذا لا يقوم الإله إن كانت قدرته مطلقة بدفع الشرور أو رفعها؟ وكيف يتم التوفيق بين وجود هذه الشرور والقدرة

---

(١) الإله الذي لا أفهمه عندما ننتظر أن يتكلم الله، كريستوفر ج هـ رايت، ترجمة هدي بهيج، دار الثقافة، ص٢٨.

الإلهية المطلقة على تبديد أي مكروه؟ وقد أدى عجزهم عن حل مشكلة الشر إلى الاعتراف بوجود إله في الكون، مع نفي كونه "كلي القدرة".

وزعم بعضهم أن الإله يتكامل بنحو تدريجي على مر الزمن، وزعموا أن امتلاك مزيد من العلم والقدرة من شأنه التسبيب في التغلب على النوائب والصعاب شيئًا فشيئًا، والحد من ازديادها، وتقليلها إلى مستويات متدنية جدًا.

ومن هذا الاتجاه ديفيد **هيوم** (ت:١٧٧٦م)، فقد رفض الدليل الغائي على وجود الله تعالى؛ لأن العالم -كما يرى- مليء بالشر والنقص، وقد أجرى على لسان فيلون -وهو أحد الشخصيات في محاوراته- ما يدل على ذلك، حين قال: "إن الألم على فرض كونه أقل من اللذة، إلا أنه أقسى وأشد، وإن ساعة من الألم لخليقة أن تعدل في أغلب الأحيان يومًا، أو أسبوعًا، أو شهرًا، من ملذاتنا الكثيرة التافهة"[١].

ويبني هيوم على ذلك أن الكون لا يمكن أن يصدر عن إله كلي القدرة، والحكمة، والخير[٢]، ولا يملك هيوم يقينًا في قدرة الإله على

---

(١) محاورات في الدين الطبيعي، هيوم، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، مكتبة القاهرة الحديثة، ط١، ١٩٥٦م، ص١٢٠.

(٢) انظر: محاورات في الدين الطبيعي، هيوم، ص١٢١.

استبدال الخير بالشر، فالموجود "الذي يعرف جميع أسرار الكون يستطيع أن يهيئ جميع المخلوقات لخدمة الإنسان وسعادته"(١).

وأنه كان على الإله " أن يخلق عددًا أقل من الكائنات، وأن يمدها بقوة أكبر؛ كي تتحقق سعادتها وبقاؤها، فمصمم البيت لا يمكن أن يكون حكيمًا إذا وضع خطة تفوق ما يستطيع فعله"(٢).

وكذلك فإن **جون ستيورات مل** (ت:١٨٧٣م)، رغم أنه يتمسك بدليل النظم في الاستدلال على وجود الإله ويرفض ما سواه، إلا أنه لا يرى فيه دليلاً على وجود إله لا متناه، خالق كل شيء؛ ويرى أنه عندما نصف الله بأنه كامل لا نعني بذلك أكثر من أنه "كامل كمالاً متناهيًا، أو بمعنى آخر: كامل وقادر بما يكفي لتشكيل عالم الظواهر بصورة منظمة.

والذي دفعه إلى هذا ما يوجد في العالم من شرور ونواقص، فقد خُيِّر ما بين إما أن يكون الإله قادرًا قدرة تامة، فهو إذن شرير، أو أنه خير خيرية مطلقة، فهو بالتالي محدود القدرة، فاختار ستيورات مل الثاني مغلبًا بذلك خيرية الله المطلقة على قدرته الشاملة(٣).

ويرى ستيورات مل أن محدودية القدرة الإلهية لا تعني أنه غير فائق القدرة من المنظور البشري؛ لأن قدرته تفوق أي قدرة أخرى

---

(١) محاورات في الدين الطبيعي، هيوم، ص١٢٨.

(٢) محاورات في الدين الطبيعي، هيوم، ص١٣١.

(٣) انظر: الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ص٤٠٩.

وتسمو عليها؛ ومن ثم فإن هذا النظام في العالم لا يحتاج إلى أكثر من قدرة محدودة لإحداثه؛ فالإله – إذن – يعمل في وسط محدود، ومضطر للتلاؤم مع هذا الوسط؛ إذ يسعى لتحقيق غايته بقدر ما تسمح تلك الظروف، فهو غير مسؤول عن الشر[1].

وفي هذا الاتجاه **وليم جيمس** (ت: ١٩١٠م)، فقد شكك في أدلة وجود الله تعالى القائمة على العلية والغائية، ويرى أن الأشياء –على المستوى الكوني– شبيهة بحالة الطقس اليومية تنشأ وتندثر دون أن يكون هناك غاية وهدف، والطبيعة – بناء على ذلك – لا تدل على أي علامة تكشف عن تصميم رحيم[2].

ويرى جيمس أن الإله فاعل متناه غير خلاق، لذلك فلابد أن نتعاون مع الإله، ونساعده أيضًا في تنفيذ أغراضه الكثيرة، وذلك عن طريق إخلاصنا لمهامنا المتواضعة[3]، والإله ليس مسؤولًا عن الشر بل بالعكس فهو شريكنا الأعظم في محاربة الشر[4].

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم رايت، ترجمة محمود أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١م، ص٤١٧.

(٢) انظر: دراسات في الفلسفة المعاصرة، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، بدون، ١/ ٤٢، تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف، مصر، ط٥، ص٤٢٢.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم رايت، ص٤٨٣.

(٤) انظر: رواد الفلسفة الأمريكية، موريس تشارلز ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية، مصر، ١٩٩٦م، ص ١٦٠.

وهكذا يظهر أن هدف هذا الاتجاه هو نسبة الخيرية للإله وتبرأته من الشر الموجود بالعالم بإدعاء محدودية قدرته في مواجهة الشرور الموجودة بالعالم، ولا شك أن كلامهم يحتوي على تناقض، **فالعاجز لا يصلح أن يكون إلهًا، والعجز** من سمات الحوادث، والقديم الإله **لا** يجوز أن **يكون** عاجزاً.

ولا ينفعهم الإدعاء أن هذه القدرة المحدودة تفوق أي قدرة أخرى بشرية، فالعقل لا يتصور وجود إله ومع ذلك فهو محدود القدرة في تغيير الممكنات التي صنعها، وصدق الله سبحانه حين قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[1].

وأما الاتجاه الرابع: عالج مشكلة الشر بنسبته إلى الانتخاب الطبيعي.

يتبنى العديد من أنصار التطور الموجه (الإلهي) أن الشر الموجود في العالم ليس من خلق الله المباشر، بل هو من خلق الانتخاب الطبيعي والتغيرات العشوائية!

ويزعمون أن هذا الطرح يحل مشكلة وجود الشر، فكون الله خالق كل شيء يجعل مشكلة الشر -من وجهة نظرهم- غير قابلة للحل، وأن هذا يؤدي إلى أن يكون الله هو خالق كل ما نراه من سوء تصميم في المخلوقات ومن قسوة وبشاعة في طبائع الأحياء!

---

(١) سورة فاطر: آية ٤٤.

ومـن أبـرز القـائلين بـذلك التطـوري الكـاثوليكي الأسـباني **فرانسيسكو آيالا** (المولود سنة ١٩٣٤م) حيث يقول: "عبءٌ كبير قد ارتفع من على أكتاف المؤمنين عندما بان الدليل المقنع على أننا لسنا بحاجة إلى نسبة تصميم الكائنات إلى خلق الله المباشر، بل كنتيجة للعمليات الطبيعية"

ومن وجهة نظره فإننا "إذا زعمنا أن الكائنات وأجزاءها قد صممها الله خصيصًا؛ فلابد أن نبرر سبب التصميم الناقص لفك الإنسان وضيق قناة الولادة وعمودنا الفقري ردئ التصميم الأدنى من أن يتناسب جيدًا مع المشي المنتصب"، فهنا يقدم داروين منحة إلى الدين ليستنقذه من هذه الإشكالية وأننا في أمس الحاجة إلى "معرفة ثورة داروين وقبول الانتخاب الطبيعي على أنه هو العملية التي أدت إلى نشوء تصميم الكائنات الحية بما فيها من عيوب وقصور وقسوة وسادية تهيمن على عالم الأحياء، وأن نسبة هذه الأشياء إلى خلق الله الخاص يؤدي إلى الكفر"[1].

لكن الحقيقة أن هذا لا يحل المشكل كما يتصور فرانسيسكو آيالا وغيره من أنصار التطور الإلهي، فإنه لا فرق بين أن تقول إن الله خلق

---

(١) التطور الموجه بين العلم والدين، د.هشام عزمي، دار الكاتب، ط١، ٢٠١٦م، ص٢١٨، ٢١٩، نقلًا عن:

Francisco Ayala,Darwins Gift to Science and Religion(Washington: joseph Henry press 2007),pp.159-160

التصميم السيئ مباشرة أو أن تقول إنه خلقه بواسطة التطور الدارويني فهو في النهاية خالق كل شيء.

"فوقوع التصميم السيء لا يخرج عن قدرة الله وإرادته مهما حاولنا التلاعب، وإلا فما الفارق بين أن تشوه وجه شخص ما بقبضتيك العاريتين وأن تطلق عليه كلبًا شرسًا ليمزق ملامحه؟ في الحالتين تقع المسئولية عليك كاملة"(١).

الاتجاه الخامس: عالج مشكلة الشر بنزعة تفاؤلية مثالية.

حيث إن هذا الاتجاه لم ينكر الشر الموجود في العالم بل أفسح له مجالًا إلى جانب الخير، ويرى أن الشر ضروري لأجل خير الكل وكماله، أو أنه ضروري من أجل نظام العالم، بعكس الاتجاهات التشاؤمية التي عالجت مشكلة الشر بانكار الإله أو بابطال وحدانيته أو بتقييد قدرته.

فالرواقيون: رأوا أن الشر ضروري لبنية الكون، واحتجوا بحجتين:

الأولى: أن الخيرات لا توجد بدون شرور؛ لأنهما أضداد، فلو أبطلنا أحدهما لأبطلناهما معًا.

وأما الحجة الثانية: فإن الله يريد الخير، وهو قصده الأول، ولكن قد لا يصل إليه؛ إلا إذا لجأ إلى وسائل ربما لا تكون خيرًا من كل وجه،

---

(١) التطور الموجه بين العلم والدين، د.هشام عزمي، ص٢٢٠

فشعورنا بالجوع مثلًا ضروري لاستمرار حياتنا؛ إذ لو لم نشعر به لاعتلت صحتنا بسبب نقص التغذية[١].

وبناء على هذا فالشر ضروري لأجل خير الكل وكماله، وهو لا يوجد إلا في الجزيئات والأفراد، وعلى الإنسان أن يرضى بكل ما يحدث، باعتبار أن ذلك يؤدى إلى سلامة العالم ونجاح مقاصد الآلهة[٢].

وأما **أفلاطون**(ت:٣٤٧ق.م): فكان ينظر إلى إلهه على أنه مثال الخير، وقد أراد منذ البداية أن تجيء الأشياء قريبة الشبه منه بقدر المستطاع [٣]، ومن ثم فهو عنده علة الأشياء الخيرة وحدها[٤].

لذلك فإنه يقصر وجود الشر على هذا العالم المحسوس، وأما عالم الآلهة والمثل فلا شر فيه.

لذلك فإن وجود الشر –كما يرى أفلاطون– ضروري في ذلك العالم؛ حتى لا يكن خيرًا محضًا فيشابه نموذجه الدائم، فهو إذن ناقص، ولكنه أفضل العوالم الممكنة.

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة، أميل بريهيية، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة بيروت، ط٢، ١٩٨٨م، ٢/ ٧٤، و: تاريخ الفلسفة، فردريك كبلستن،١/ ٥٢٢.

(٢) انظر: ملحق الموسوعة الفلسفية، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص١٨٧.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة، فردريك كبلستن، ١/ ٣٣٩.

(٤) انظر: جمهورية أفلاطون، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة المصرية للطباعة والتأليف والنشر، ص٦٨، ٧٠.

ويرى أفلاطون أن الإله لم يرد الشر على أي حال، ولكنه سمح به فداء للخير الفائض في العالم، وينبغي أن ينظر إليه على أنه ليس إلا نقصًا في الوجود أو خيرًا أقل[1].

ومن هذا الاتجاه **أفلوطين**(ت: ٢٧٠م) حيث يرى أن للأشياء التي نسميها شرًا نفعًا فيما يتعلق بنظام الكل واكتماله، فإن العالم الكلي يسخرها لحاجاته ما دامت موجودة، ولولا وجودها لكان الكل ناقصًا، لذلك فالشر قد يكون لبعض الناس شرًا، ولكنه في المجموع العام لا يكون إلا خيرًا حيث إنه "إذا فسد شيء عمد العقل الكلي إلى ما فسد، واتخذه أداة لتوليد شيء آخر"[2].

ويرى كذلك أن وجود الشر ضروري في الانسجام الكوني، فوجود الجلاد لا يحط من قدر المدينة التي أحكمت سياستها، بل إن الحسن يقتضي وجوده " حتى يتحقق بعقابه للمستحقين الأمن والنظام"[3].

---

(١) انظر: ثياتيتوس أو عن العلم (محاورة لأفلاطون)، ترجمة أميرة مطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٣م، ص٩٠، و: الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مكتبة النهضة المصرية، ط٥، ١٩٦٦م، ص٨٢.

(٢) تاسوعات أفلوطين، ترجمة فريد جبر، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٧م، ص٢٠٣.

(٣) تاسوعات أفلوطين، ص ٢١٦.

ويرى أفلوطين أن عدم إدراكنا لمنفعة الشر إنما يرجع أساسًا إلى غفلتنا عن تبصر ذلك، كما هو الحال في الحيوانات السامة، فإنها لا تخلو من نفع وخير بالنظر لضرورة الطبيعة، ونظام العالم الكلي[1].

فالحكمة اقتضت أن يحدث ما نسميه شرا، إذ لا يريد أن يكون كل شيء خيرًا، كحال الفنان الذي يرسم حيوانا لا يجعل كل أجزائه عيونا، وكذا فإن من يعيب على الفنان عدم انتشار الألوان الزاهية في كل موضع من لوحته، في حين أنه جعل لكل ناحية منها لونا يلائمه، فهو جاهل عديم الخبرة والمعرفة[2].

ومن هذا الاتجاه **ليبنتز**(ت:١٧١٦م) حيث تسود نظرته إلى مشكلة الشر وتصوره للعالم نزعة تفاؤلية.

فيرى أن الإله هو مصدر الحقائق الأبدية، وأنه خير مطلق، ويعمل الأصلح والأفضل دائمًا[3]، وهو خالق العالم، وهذا العالم موصوف بالإمكان، أي أنه كان من الممكن ألا يوجد أصلا، كما كان من الممكن أيضا أن يكون شيئا آخر تماما غير ما هو عليه الآن في الواقع.

---

(١) انظر: تاسوعات أفلوطين، ص١٣٨.

(٢) انظر: تاسوعات أفلوطين، ص١٣٨.

(٣) انظر: مقال عن الميتافيزيقا، ليبنتز، ترجمة: نبيل رشاد سعيد، ضمن رسالته للماجستير التي بعنوان: "فلسفة الطبيعة عند ليبنتز"، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٨م، ص١٦٨.

وأن العقل الإلهي قد اختار هذا العالم من بين العوالم الممكنة لأنه تحقق من أنه " أفضل هذه العوالم جميعا"[١].

وإذا كان عالمنا هو أفضل عالم ممكن فإن هذا يعني أن الله قد خلقه على أكمل صورة ممكنة، فالكامل لا يصدر عنه إلا الكامل، ولكن كمال العالم لا يعنى خلوه تماما من الشرور والآلام التي نجدها بالفعل في جوانب كثيرة في هذا العالم، فوجود الشر في العالم لا يتعارض مع كمال العالم ولا يتعارض مع العناية الإلهية، فهذه الشرور أمور جزئية والعالم خير في جملته[٢].

لهذا يرى ليبنتز أنه لا يمكن أن تتجه مشيئة الإله لوجود الشر؛ لأن الشر راجع إلى نقص في الطبيعة[٣]، " فالأشياء المخلوقة تدين بكمالها

(١) انظر: دراسات في الفلسفة الحديثة، أ.د/ محمود حمدي زقزوق، ص١٧٢.

(٢) انظر: دراسات في الفلسفة الحديثة، أ.د/ محمود حمدي زقزوق، ص١٧٣.

(٣) انظر: ليبنتز: مقال في الميتافيزيقا، ص١٩٢.

يفصل ليبنتز القول في أنواع الشرور التي نجدها في العالم على النحو التالي:

١- الشر الميتافيزيقي: ويتمثل هذا الشر في النقص الذي يلاحظه المرء في كل المخلوقات، وهو أمر لا مفر منه، لأن النقص من لوازم الموجود المخلوق المتناهي؛ فالله لا يمكن أن يخلق آلهة، وعلى ذلك فالمخلوق بطبيعته شيء محدود وغير كامل، ومن هنا يعد الشر الميتافيزيقي علة للنوعين التاليين من الشرور.

٢- الشر الطبيعي: ويتمثل هذا الشر في الألم الذي هو شكل من أشكال الشر الذي يعاني منه أغلب الناس، وإذا كان الله قد سمح به فذلك لحكمة أرادها من وراء ذلك فأحيانا يكون عقوبة لذنب من الذنوب، وأحيانا يكون وسيلة مناسبة لبلوغ

إلى تأثير الله، بينما يرجع نقصها إلى طبيعتها هي، تلك الطبيعة التي لا تستطيع الوجود بدون حدود، وهي في هذا يكون اختلافها عن الله"[1].

ويعتمد ليبنتز في حله لمشكلة الشر على فكرة "السماح"، فالله "يسمح بالشر" – من غير أن يقدح ذلك في قوانينه التي تحكم الكون، أو في خيريته وصلاحه – وفقًا لمبادئ عليا اقتضت ذلك، يقول في هذا: "إن معظم قوانين الله تعالى هي التي تحكم كل سلسلة في الكون، وبدون استثناء، ويمكننا أن نقول: إن إرادة الله هي كل شيء ... إذا كان العمل خيرًا بذاته، فإنه يرجع إلى إرادة الله ... أما إذا كانت الأعمال سيئة في ذاتها، فإنها تصبح خيرًا أثناء الحدث؛ لأن نتيجة الأشياء هي العقوبات والثواب، ووفقا لذلك كله فإن الكمال هو الغالب في كل النتائج من جميع الشرور التي تحدث، وعند ذلك نقول: إن الله يسمح بالشر، ولكنه لا

هدف معين، أي لمنع شر أعظم أو للحصول على خير أعظم؛ كذلك تكون العقوبة سبيلا للإصلاح والترهيب، والشر غالبا ما يكون سببا لإظهار الخير.

٣- الشر الخلقي: ويتمثل هذا الشر في الذنوب والمعاصي، ويرجع إلى حرية الإنسان، وهذه الحرية في حد ذاتها خير، ولكن الشر يأتي من إساءة استخدام الإنسان لهذه الحرية. انظر: دراسات في الفلسفة الحديثة، ا.د/ محمود حمدي زقزوق، ص١٧٣، ١٧٤، فلسفة ليبنتز، قدرية إسماعيل، رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٦٩م، ص٣٣٠.

(١) المونادولوجيا، ليبنتز، ضمن كتاب ليبنتز فيلسوف الذرة الروحية مع ترجمة المونادولوجيا، علي عبد المعطي محمد، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.

يرغب فيه، مع أنه هو الذي صنع قوانين الطبيعة، ويعرف كيف يصنع أعظم خير منها"[1].

فالله يسمح بالشر؛ لأن وجوده يؤدى إلى خيرات كثيرة؛ فالبلاء الذي يلحق الناس الطيبين يكون خيرًا لهم وصلاحًا لحالهم؛ كحبة البر حيث تعاني كثيرًا عند بذرها في الأرض قبل أن تنمو وتثمر، وبالتالي فعلمه به، وقدرته على إزالته لا تجعله مسؤولًا عنه، وخيريته المطلقة تأبى ذلك، ولكن ما يجب أن يقال هنا: إن الله قد اختار الأصلح، ولو لم نقل بذلك، لكانت أفعاله تعالى تحتاج إلى تصحيح وتهذيب؛ لأنه كان باستطاعته أن يعمل أحسن مما عمل[2].

ويرى ليبنتز أن الخير في العالم يفوق الشر، غير أن المرء يبالغ دائما في تضخيم الشر ولا ينتبه للخير إلا في النادر، فالخير أكثر من الشر حتى ولو كان عدد الأشرار يزيد على عدد الأخيار، والخير الذي نجده لدى أقل عدد من الناس يفوق الشر الذي نجده لدى أكبر عدد من الناس، فالله (الذي هو الخير كله) لا متناهي، أما الشيطان فهو محدود، والخير يمكن أن ينمو بلا حدود في حين أن للشر حدودًا[3].

---

(١) مقال عن الميتافيزيقا، ليبنتز، ص١٧٠.

(٢) فلسفة ليبنتز، ص٣١٧.

(٣) انظر: دراسات في الفلسفة الحديثة، د/ محمود حمدي زقزوق، ص١٧٤.

ومما سبق يتضح لنا أن هناك نزعة تفاؤلية تسود تصورات ليبنتز فيما يتعلق بالعالم ونظرته إلى مشكلة الشر، تلك النزعة التي كان لها أثرها الإيجابي أو السلبي على الفلاسفة الغربيين من بعده.

تعقيب:

اعتبر القرآن الكريم الابتلاء سنة كونية يهذب به الله عباده ويصلح حالهم، ويميز به الخبيث من الطيب، ويكفر عنهم سيئاتهم ويرفع مقامهم قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(١)، وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾(٢)، وقال: ﴿مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾(٣).

والأحاديث كذلك كثيرة، منها: قوله ﷺ: "ما يصيب المسلم من نَصَب، ولا وَصَب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه"(٤).

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٢، ٣

(٢) سورة القيامة: آية ٣٦.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٧٩.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى، حديث رقم ٥٣١٨، ٥/ ٢١٣٧.

ما يصيب المسلم من نَصَب، ولا وَصَب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّرّ الله بها من خطاياه

لذلك ربط القرآن الكريم المحن والشرور بوجود حياة أخرى أبدية، ولقد بين القرآن الكريم في العديد من الآيات وجود دارين؛ الدنيا، والآخرة.

وقضت مشيئة الله تعالى أن تكون الدنيا دار تكليف واختبار ومكابدة، يتعرض فيها البشر لألوان شتى من المصائب والمحن، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[1].

ولما كانت هذه حقيقة الدنيا، فقد زهد الله –تعالى– عباده المؤمنين فيها قال تعالى: ﴿وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[2]، وقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[3]، ووصفها النبي ﷺ بأنها (لا تعدل عند الله جناح بعوضة)[4].

---

(١) سورة البقرة: آية ١٥٥.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٨٥.

(٣) سورة الأنعام: آية ٣٢.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله تعالى، حديث رقم ٢٣٢٠، ٤/ ٥٦٠.

وفي المقابل رغَّب الله تعالى في الآخرة باعتبارها الحياة الحقيقية الباقية حيث قال: ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[١]، وقال: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٢]، وباعتبارها دار القرار قال: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[٣]، ويوم الحساب؛ حيث يجازي كل إنسان بما قدم: إن خيرًا فخير، أو شرًا فشر: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[٤]، وفيها تتحقق العدالة الإلهية المطلقة، حيث يفصل فيها بين العباد، فينصر المظلوم ويقتص من الظالم، قال ﷺ: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء"[٥]، ويكافئ أهل الصبر على المحن والبلاء الذي كان في الدنيا، فتكون الجنة والنعيم الأبدي عزاء لكل مؤمن من جميع ما لاقاه في الدنيا من شر وبلاء.

---

(١) سورة الأنعام: آية ٣٢.

(٢) سورة العنكبوت: آية ٦٤.

(٣) سورة غافر: آية ٣٩.

(٤) سورة ص: آية ٥٣.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث رقم ٤٨٠٧، ٤/١٩٩٧.

وكم من شدة محَّصَت ذنبًا، ونبَّهت من غفلة، وذكَّرت بنعمة، وكم من محنة أصبحت منحة أعادت إلى الرحمن، وأنقذت من الشيطان، وهذه نظرة المؤمن إلى البلاء وظنُّه بربه على الدوام.

كما أن قصور المعرفة البشرية ومحدوديتها تجعل الإنسان لا يعلم أين الخير، فما يبدو من شر قد يحمل في طياته خيرات كثيرة، وما يظنه خيرًا في بعض الأحيان قد يكون فيه هلاكه قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾[2].

ويشير القرآن الكريم إلى أن بعض ما يُبتلى أو يُصاب به الإنسان ناتج عن أعماله قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[3]، وقد قصّت لنا كثير من الآيات ما مرّت به الأمم المختلفة في غابر الزمان من ويلات، وطوفانات، وغرق، وما شاكل ذلك، مبينة أن هذا كان جزاء لأفاعيلهم السيئة.

وقد ذكر الإمام **الغزالي** أن الشرور والمحن التي في الدنيا لحكمة ارتضاها الله تعالى، ويمثل لذلك بالطفل الصغير الذي "ترِقُّ له أمه

---

(١) سورة البقرة: آية ٢١٦.

(٢) سورة: الإسراء آية ١١.

(٣) سورة الشورى: آية ٣٠.

فتمنعه من الحجامة، والأب العاقل يحمله عليها قهرًا، والجاهل يظن أن الرحيم هي الأم دون الأب، والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته، وأن الأم عدوٌّ في صورة صديق، وأن الألم القليل إذا كان سببًا للذة الكثيرة لم يكن شرًّا، بل كان خيرًا.

والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة، وليس في الوجود شرٌّ إلَّا وفي ضمنه خير، لو رُفِع ذلك الشرُّ لبطل الخير الذي في ضمنه، وحصل ببطلانه شرٌّ أعظم من الشر الذي يتضمنه، فاليد المتآكلة قطعها شرٌّ في الظاهر، وفي ضمنها خيرٌ جزيل، وهو سلامة البدن، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن، ولكان الشر أعظم، وقطع اليد لأجل سلامة البدن شرٌّ في ضمنه خير، ولكن المرادَ الأول السابق إلى نظر القاطع: السلامةُ التي هي خيرٌ محض، ثم لما كان السبيل إليه قطع اليد، قصد قطع اليد لأجله، فكانت السلامة مطلوبةً لذاتها أولًا، والقطع مطلوبًا لغيره ثانيًا، لا لذاته، فهما داخلان تحت الإرادة، ولكن أحدهما مراد لذاته، والآخر مراد لغيره.

والمراد لذاته قبل المراد لغيره؛ ولأجله قال الله عز وجل: "سبقت رحمتي غضبي"[1]. فغضبه إرادته للشر، والشر بإرادته، ورحمته إرادته

(١) جزء من حديث قدسي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال) : لما قضى الله الخلق ، كتب كتابا عنده : غلبت ، أو قال سبقت رحمتي

للخير، والخير بإرادته. ولكن إذا أراد الخير للخير نفسه، وأراد الشر لا لذاته، ولكن لما في ضمنه من الخير؛ فالخير مقضيٌّ بالذات، والشرُّ مقضيٌّ بالعَرَض، وكلٌّ بقدرٍ، وليس في ذلك ما ينافي الرحمة أصلًا"[1].

وقال الشيخ عبد القادر **الجيلاني**: "المؤمن يثبت عنده أن الله عز وجل ما يبتليه بشيء إلا لمصلحة تعقُب ذلك، إما دنيا أو آخرة، فهو راضٍ بالبلاء وصابر عليه، غير متَّهِمٍ ربَّه عزَّ وجل"[2].

وذكر العقاد حلا لمشكلة الشر سماه (حل التكافل بين أجزاء الوجود) فيقول: إن " الشرَّ لا يناقض الخير في جوهره، ولكنه جزءٌ مُتمِّم له، أو شرط لازم لتحقيقه، فلا معنى للشجاعة بغير الخطر، ولا معنى للكرم بغير الحاجة، ولا معنى للصبر بغير الشدَّة، ولا معنى لفضيلة من الفضائل بغير نقيصة تقابلها وترجح عليها، وقد يطَّرد هذا القول في لذَّاتنا المحسوسة، كما يطَّرد في فضائلنا النفسيَّة، ومطالبنا العقليَّة، إذ نحن لا نعرف لذَّة الشِّبَع بغير ألم الجوع، ولا نستمتع بالري ما

غضبي، فهو عنده فوق العرش) باب قول الله تعالى: بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ، برقم ٧١٥٥.

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام الغزالي، دار الجيل، بدون، ص٤٣، ٤٤.

(٢) الفتح الرباني والفيض الرحماني، عبد القادر الجيلاني، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بدون، ص٤٧.

لم نشعر قبله بلهفة الظمأ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءنا المنظر القبيح"[1].

فالشر هو تمام الخير، ولا معنى للذة الحاصلة بأصناف الخير المختلفة دون احتمال وجود أصناف الشر المقابلة لها، فأي معنى للكرم والشجاعة والهمة العالية دون وجود الفقر المحوج والخطر المخوف والعمل الشاق؟!

وعلى هذا نقول، إن مقدمات أصحاب شبهة الشر تحتوي على عدم التفريق بين مقام الألوهية وبين معنى الخلق، فالإله ليس ملزمًا بجعل هذا العالم في أحسن صورة ممكنة كما يتصورها المنكر، خاصة أن مدارك الخلق عن حقائق الكون أدنى من ما يعلمه الخالق بواسع علمه، وعلى هذا فلا تكون رغبات الخلق هي أساس الحكم على الأشياء بالحسن والقبح.

فالله-سبحانه وتعالى- مالك الملك، له أن يفعل في ملكه ما شاء، وله أن يضع الخلق في اختبار، ويعاقبهم على العصيان، فهم ليسوا هملًا في الدنيا، وإنما خلقوا لغاية، وواجبهم الطاعة.

وغاية خلق الإنسان ليست إسعاد الإنسان وإنما اختباره على محك العبودية، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون﴾[1].

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، نهضة مصر، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٥م، ص٨.

بالإضافة إلى أن العلم البشري محدود ومحصور في إطار الزمان والمكان والذكاء فكيف يقاس بعلم الله سبحانه وتعالى، ويقال إن الإله ليس عنده أسباب جيدة للسماح بالألم وأن الآلام خالية من أية منفعة.

أما عن دعوى التعارض بين وجود الشر ووجود الإله فإنها تقوم على تصور الملحد للإله، حيث يحصر الصفات الإلهية في القدرة والعلم والرحمة ويقيم دعواه في التعارض بين وجود الشّر وبين وجود الإله **ذي الصفات الثلاث**، وسبق أن ذكرنا رد آلفين بلانتينجا، المعروف باسم دفاع الإرادة الحرة، الذي يبين أنه لا يوجد تعارض بين هذه الصفات وبين وجود الشر.

وهذه الشبهة لا تتم إلا على من يصف الإله بالقدرة التامة والرحمة التامة، ولا يتعارض وجود الشرّ مع وجود الله كلي القدرة، أما الرحمة فإنه من الناحية **العقلية الصرفة** لا يشترط ولا يلزم في الخالق أن يكون رحيمًا، وفي التصور الإسلامي وصف الله نفسه بالرحمن الرحيم، لكنه أخبر أنه سيبتلي عباده بالمصائب والشدائد في الدنيا وعليهم أن يصبروا وضرب لنا المثل بصبر سيدنا أيوب، وفي الآخرة أخبر بوجود العذاب الأليم لمن كفر به وعصاه، فكيف يمكن أن يحتج الملحد على عدم وجود الله بشيء هو خلقه وأخبر عنه؟!

---

(١) سورة الذاريات: آية ٥٦.

كذلك فإن الملحد يرى أن الحياة مادية وعدمية خالية من القيم والمبادئ، ولو كان متسقًا مع مذهبه المادي لكانت الأمور كلها بالنسبة إليه سواء بل مجرد وصف الأحداث بالخير والشر خروج عن مذهبه وتنكر منه لماديته، يقول اللاهوتي أليستر ماجراث: "يقول بعض الملحدين إن الألم شر وهو في حد ذاته كاف لدحض فكرة وجود الله وهي حجة غريبة لأن الفحص الدقيق يبين أنها تفند نفسها بنفسها، فالحجة المبنية على وجود الشر التي تستخدم لإثبات عدم وجود الله تعتمد على الاعتراف بأن الألم شر، ولكن هذا التصريح ليس ملاحظة تقوم على التجريب ولكنها حكم أخلاقي، فالألم طبيعي لكننا عندما نقول إنه شر فهذا يعني أننا افترضنا إطارًا أخلاقيًا مسبقًا يضع مقاييس واضحة لما هو خير وما هو شر، ولكن من أين أتي هذا الإطار؟

فنجاح هذه الحجة يتطلب وجود إطار أخلاقي مطلق يشير في حد ذاته إلى وجود الله، وهكذا يبدو في نهاية الأمر أن عدم وجود الله يعتمد على وجود الله، إذا فالحجة ليست موفقة"[1].

ومن الصعب جدا تصور مفاهيم مثل الظلم والعدل والخير والشر في ظل النظرة الداروينية، إذ أن نظرية التطور الداروينية نقوم على

---

(١) الدفاعيات المجردة، كيف تساعد الباحثين والمتشككين للوصول إلى الإيمان، أليستر ماجراث، ترجمة ماريانا كتكوت، الناشر **Rzim middle east**، 2013م، ص١٦٣.

القتل والعنف وإبادة القوي للضعيف، فعلى أي أساس يحكم الملحد على العالم الطبيعي بأنه ظالم ومجحف وغير عادل، فليس لدى غير المؤمن أسباب جيدة لكونه ساخطًا على اللاعدل الذى يراه في الطبيعة، بل لو أنصف مذهبه لعد أمور القتل وما شابهها من قمة العدل إذ العدل طبقا لمذهبهم أن يبقى القوي الذي يستحق البقاء ويفنى الضعيف الذي يستحق الفناء فهذا هو قمة العدل الداروينيني[1].

كذلك فإن من مظاهر التلبيس عند طرح مشكلة الشر هي تداخل الشُبَه والخلط بين وجهين من أوجه التعارض إذ يطرح الملحد مسألة تعارض وجود الشر ووجود إله رحيم، ثم يقحم في هذا الاعتراض تعارض وجود الشر ووجود إله قدير، ثم يُطلب من المخالف أن يرد على هذين الاعتراضين بوجه واحد من أوجه الرد!، والأصل -إن كان منصفًا- أن يسلم أولًا بعدم وجود تعارض بين الشر والرحمة، ثم يفتح الباب لشبهة جديدة، وهي: تعارض الشر والقدرة، ولِمَ لَمْ يخلق الله عالما آخر بلا شر؟

---

(١) انظر: الإيمان في عصر التشكيك، تيموثي كَلِر، ترجمة سعيد فارس باز، أوفير للطباعة، ط١، ٢٠١٠م، ص٥٩، ٦٠.

لذلك يرى آلفين بلانتينجا[1]: أن عموميّة هذه القضية مخدوشة من الأساس... فإنك إذا افترضت موجودًا مريدًا للخير، ويتحلى بالحكمة، ويزن أفعاله بها، فسوف تجد أنه لا يتنازل عن الخير الأسمى وعليه:

فإنّ زعم التلازم بين إرادة الخير والقدرة المطلقة من جهة، وإنكار أي لون من ألوان الشر - حتى ما يقع مقدمة للخيرات السامية - باطل، ولا أساس له من الصحّة.

بل إن إرادة الخير هذه تقتضي منه الرضا ببعض الشرور والآلام طالما وقعت مقدمةً لاكتساب خير أكبر وأسمى.

ومن ثَمَّ: فإن شرية هذه الشرور ليست مطلقة ولا دائمية، بل تتصف بنوع من الخيرية؛ لأنها وقت مقدّمةً لحلول خير أكبر وأسمى. هذا، ناهيك عن أن القادر المطلق إذا أراد أن يوجد عالمًا يتحلى

---

(١) ألفن كارل بلانتنجا: ولد سنة ١٩٣٢م، وهو فيلسوف تحليلي أمريكي، وأستاذ فخري للفلسفة في جامعة نوتردام، وهو معروف على نطاق واسع لعمله في فلسفة الدين، ونظرية المعرفة، والميتافيزيقيا واللاهوت الدفاعي المسيحي، له العديد من المؤلفات، وتم وصفه من قبل مجلة تايم باسم "فيلسوف الله الأرثوذكسي البروتستانتي القيادي لأميركا". انظر: دليل أكسفورد للفلسفة، تد هوندرتش، ترجمة نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير ليبيا،١/ ١٦٦، و: أسس غائبة،٢٥ مسألة في مشكلة الشر مع مدخل تعريفي بأشهر الردود الغربية والتعليق عليها، أحمد حسن مركز دلائل، ط١، ١٤٣٩هـ، ص٢٦.

بمواصفات معينة وتترتب عليه بنحو التلازم المنطقي بعض الشرور التي إذا نظر للعالم بنحو كلي ومآلي لتبين أنها ضئيلة قليلة، فإنّ هذا لن يتنافى أو يصطدم بقادريته المطلقة، أو كونه مريدًا للخير المحض، وهما أمران يجتمعان من دون أي مشكلة منطقية.

نعم؛ لا ننكر أن القادر المطلق لا يعجز عن التصدي لهذه الشرور القليلة من خلال الإحجام عن خلق مناشئها، فتزول بذلك من الأساس؛ وذلك لأنه قادر مطلق، لكن هذا الفعل بذاته مخالف لحكمته وإرادته للخير؛ إذ يترتب على ذلك ضياع خير وفير عميم لأجل شر ضئيل قليل، وهو بحد ذاته شر كبير! وبعبارة أخرى: العالم المادي الجسماني - بذاته - ملازم لبعض الشرور المترتبة على وجود الحركة والزمان والتضاد في الحركة - كما في حركة الغاز تحت الأرض الذي قد يبلغ مرحلة الانفجار أحيانًا - لكن خير ذلك أكثر بكثير من الشر المترتب عليه[1].

وبهذا فك آلفين بلانتينجا الارتباط الفلسفي بين وجود إله كامل العلم والقدرة والخيرية ووجود الشر

وأخيرًا، نرى أن مشكلة الشر لا تنفي وجود الخالق الناظم والمدبر للكون، لكنها تسعى لنفي بعض الصفات عنه، وبينا تهافت

(١) انظر: الله والاختيار والشر، آلفين بلانتينجا، ص ٣٢ وما بعدها، و: مشكلة الشر، لدانيال سبيك، ص٤٢.

اعتراضاتها، وأن ما يسمى بالشر الموجود في العالم ما هو إلا ابتلاءات يهذب بها الله عباده ويصلح حالهم، ويكفر عنهم سيئاتهم، ويرفع مقامهم، ويكافئ أهل الصبر على المحن والبلاء الذي كان في الدنيا، فتكون الجنة والنعيم الأبدي عزاء لكل مؤمن من جميع ما لاقاه في الدنيا من شر وبلاء.

المبحث الثاني: نقد ديفيد هيوم (ت: ١٧٧٦م) لدليل النظم والتصميم.

اشتهر ديفيد هيوم بآرائه الشكية واللا أدرية، وحاول تطبيق المنهج التجريبي في دراسة الفلسفة والدين والأخلاق[١]، وقد أثار هيوم الشكوك حين ذهب إلى عدم إمكان التوصل أبدا إلى اليقين المطلق، وليس بوسع العلم المؤسس على الملاحظة والتجربة أن يمدنا بأية معلومات عن الله بأسلوب أو بآخر[٢]، ويرى أن جميع البراهين على وجود الله يمكن تفنيدها[٣].

وفي هذا الصدد يقول هيوم وهو يضرب بكل ما سوى العلم- التجريبي- عرض الحائط: "دعنا نسأل إذا تناولنا أي كتاب في الإلهيات أو الميتافيزيقا، مثلا، هل يحتوى على أي استدلال مجرد عن العدد أو الكم؟ كلا، هل يحتوى على أي استدلال تجريبي عن الواقع العقلي أو الوجود؟ كلا، فلنقذف به إذن إلى النار، لأنه لا يحتوي إلا على الوهم والسفسطة"[٤].

---

(١) انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م، ص٧٢٧.

(٢) انظر: الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ص١٧٠.

(٣) انظر: الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، د.محمد عثمان الخشت، ص٢٥.

(٤) انظر: التمييز بين العلم واللاعلم، د.محمد أحمد السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٥٢.

ويعتبر كتاب "محاورات في الدين الطبيعي" من أشهر كتبه وقد أنكر فيه المرتكزات التي يقوم عليها أي دين، مثل وجود الله والنبوة وخلود الروح، وأنكر الأسس التي تبنى عليها مثل هذه المطالب، مثل التعقل والقوة العقلية والتجريد العقلي ومبدأ السببية[١]، وقد ذكر في كتاب المحاورات شبهاته حول دليل النظم، على لسان شخصين افتراضيين، أحدهما "كلينثس" وهو الذي يدافع عن برهان النظم، في مقابل "فيلون" الذي يشكك به ويبدي اعتراضات وشبهات حوله، وعلى هذا الأساس طرح نقاشًا على لسان هاتين الشخصيتين[٢].

وأهم اعتراضات ديفيد هيوم على دليل النظم هي:

١- أن برهان النظم لا يتمتع بشرائط البرهان التجريبي، لأنه لم يجرب في شأن عالم آخر غير هذا العالم .

٢- ماذا يمنع من أن نعتقد بأنّ النظام السائد في عالم الطبيعة يدار من قبل عامل كامن في نفس الطبيعة، أي أن النظام يكون ذاتيًا للمادة؟

٣- من أين نثبت أنّ النظام الموجود فعلاً هو "النظام الأكمل" لأننا لم نلاحظ مشابهه حتى نقيس به؟

---

(١) انظر: العقائد الكبرى بين حيرة الفلاسفة ويقين الأنبياء، د.محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٢.

(٢) انظر: محاورات في الدين الطبيعي، هيوم، ص٤٥ وما بعدها و: الفلسفة العامة، ريتشارد بوبكين، ترجمة جلال الدين مجتبوي، ص ٢٣١.

٤- من يدري لعل خالق الكون جرب صنع الكون مرارًا حتى اهتدى إلى النظام الفعلي؟

٥- لو فرضنا أنّ برهان النظام أثبت وجود الخالق العالم القادر، بيد أنه لا يدل مطلقًا على الصفات الكمالية كالعدالة والرحمة التي يوصف بها[1].

الرد على اعتراضات ديفيد هيوم:

أما الاعتراض الأول الذي يقول: إن برهان النظم لا يتمتع بشرائط البرهان التجريبي، لأنه لم يجرب في شأن عالم آخر غير هذا العالم، صحيح أنا جربنا المصنوعات البشرية فرأينا أنها لا توجد إلا بصانع عاقل كما في البيت والسفينة والساعة وغير ذلك، ولكننا لم نجرب ذلك في الكون، فإن الكون لم يتكرر وجوده حتى يقف الإنسان على كيفية خلقه وإيجاده، ولهذا لا يمكن أن يثبت له علة خالقة على غرار المصنوعات البشرية،

(١) انظر: الله خالق الكون، دراسة علمية حديثة للمناهج والنظريات المختلفة حول نشأة الكون ومسألة الخالق، جعفر الهادي، مؤسسة الإمام الصادق، قم، ١٤٢٤هـ، ص٣٠٧، محاضرات في الإلهيات للسبحاني، تلخيص علي الرباني، مؤسسة النشر الإسلامي، ص٢٨ وما بعدها، دروس فلسفية في شرح المنظومة، مرتضى مطهَّري، ترجمة مالك مصطفى وهبي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٢م، ص٨٧، دراسات في علم الكلام الجديد، حسن يوسفيان، ص١١٤، ١١٥، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، د.محمد عثمان الخشت، ص٢٦، ٢٧.

ومن الخطأ تمثيل وتشبيه المصنوعات البشرية المنظمة بالموجودات الطبيعية لأنه استدلال قائم على قياس باطل ومجرد حدس وتخمين[1].

والجواب عليه: أن هذا الاعتراض يقوم على أن دليل النظم والإتقان لا يمكنه إثبات ضرورة الاحتياج إلى الخالق؛ لكونه قائمًا على قياس ما يحدث في الكون عن أفعال الإنسان المتقنة، فينطلق من أنه إذا كانت أفعال الإنسان المتقنة لا بد لها من فاعل مختار مريد، فإن الأفعال الواقعة في الوجود لا بد من أن تكون كذلك.

وهذا قياس خاطئ قاصر؛ لأننا نرى كيف يصنع الإنسان أفعالا فنشاهد كيف يصنع الإنسان السيارة والطائرة، ولكننا لم نر كيف تصنع أحداث الكون، ولا كيف نظم، فلا يحق أن نحكم بأن العالم الوجودي لا بد له من مصمم بناء على إدراكنا للعالم الحسي- الإنساني لكون العالم مجهولا لنا[2].

كما أن هذا الاعتراض قائم على أن مبدأ السببية مبدأ تجريبي استقرائي، يؤخذ من تتبع مجريات الأحداث، وهذا التصور بناه هيوم على

(١) انظر: محاورات في الدين الطبيعي، ص ٤٧، و:الله خالق الكون، جعفر الهادي، ص٣٠٧

(٢) انظر: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د.سلطان عبدالرحمن العميري، دار تكوين، ط٢، ٢٠١٨م، ٢/ ٢١١.

مذهبه الحسي التجريبي، الذي يجعل مصادر المعرفة الإنسانية منحصرة فى المعطيات الحسية[١].

وهذا الأساس باطل؛ فإن مبدأ السببية ليس معتمدًا على الحس والاستقراء للوقائع الجزئية، وإنما هو مبدأ عقلي بدهي يستند إلى الضرورة العقلية اليقينية، فالناس لا يحكمون على التصميم الذي يرونه في أفعال البشر لكونهم استنتجوا ذلك عن طريق النظر المباشر والاستقراء لما يقومون به، وإنما حكموا بذلك لأن لديهم قانونًا كليًا بدهيًا يقتضي بأنه لا يمكن أن يوجد فعل ما -سواء شاهده الإنسان بنفسه أو لم يشاهده- إلا ولا بد أن يكون له فاعل وسبب.

وبناء عليه فإن اعتقاد العقلاء بأن كل حادث محكم ومتقن في هذا الكون له محدث - سواء كان من أفعال الناس أو من غير أفعالهم - ليس قائمًا على قياس أحداث الطبيعة على أفعال الإنسان، وإنما هو قائم على تعميم المبدأ العقلي الكلي على جميع ما يشمله من الأفراد الخارجية، وهناك فرق كبير بين تعميم الحكم العام على أفراده، وبين نقل الحكم من نوع إلى نوع عن طريق القياس.

ولكن هيوم وأتباعه غفلوا عن هذه الحقيقة، وتوهموا أن مبدأ السببية قائم على الاستقراء الحسي للجزئيات، وحين وجدوا أنهم لا يمكنهم مشاهدة كيف صممت أحداث الكون، انتهوا إلى أن ما يرونه

---

(١) انظر: محاورات في الدين الطبيعي، هيوم، ص٣٨.

من ضرورة وجود المصمم في أفعال البشر لا يقتضي ضرورة وجود المصمم في أحداث الكون، وهذا غلط ظاهر في فهم المبادئ العقلية وكيفية بنائها[1].

كما أن ماهية النظام السائد في الكون تدفع العقل إلى القول بأنه لا يمكن أن يصدر هذا النظام عن طريق الصدفة والاتفاق، بل لابد من دخول شعور وعقل وهدفية وقصد في إيجاد هذا النظام البديع؛ إذ كيف يمكن للصدفة مثلًا أن تجمع هذه الحروف في إطار كلمات، والكلمات في إطار جملة مفيدة لمعنى يصح السكوت عليه؟! لذا فاحتمال الصدفة لا يمكن تصوره، والعقل السليم بطبيعة الحال يرفض الحكم بأن ما كتب كتب بدون قصد وإرادة، فالقول بالصدفة والاتفاق يخالف الأسس العقلية.

أما **الاعتراض الثاني** الذي يقول:

ماذا يمنع من أن نعتقد بأن النظام السائد في عالم الطبيعة حاصل من قبل عامل كامن في نفس الطبيعة، أي أن النظام يكون ذاتيا للمادة؟ إذ لكل مادة خاصية معينة لا تنفك عنها، وهذه الخواص هي التي جعلت الكون على ما هو عليه الآن من النظام.

---

(١) انظر: ظاهرة نقد الدين، د.سلطان العميري، ٢/ ٢١٣، وانظر: صندوق داروين الأسود، مايكل بيهي، ص٣٤٩، أقوي براهين د.جون لينكس في تفنيد غلطات منكري الدين، أحمد حسن، مركز دلائل بالرياض، ط١، ١٤٣٧هـ، ص٢٧٢.

والجواب: بعد سقوط الصدفة في الاعتراض الأول لجأ الماديون إلى خاصية المادة في تفسير النظام الكوني، و "غاية ما تعطيه خاصية المادة هي أن تبلغ بنفسها فقط إلى مرحلة معينة من التكامل الخاص والنظام المعين -على فرض صحة هذا القول- لا أن تتحسب للمستقبل وتتهيأ للحاجات الطارئة، ولا أن تقيم حالة عجيبة ورائعة من التناسق والانسجام بينها وبين الأشياء المختلفة والعناصر المتنافرة في الخواص والأنظمة"[1].

ومثال ذلك: هب أن خاصية الخلية البشرية عندما تستقر في رحم المرأة، هي أن تتحرك نحو الهيئة الجنينية، ثم تصير إنسانا ذا أجهزة منظمة، ولكن هناك في الكون في مجال الإنسان تحسبا للمستقبل وتهيئوا لحاجاته القادمة لا يمكن أن يستند إلى خاصية المادة، وهو أنه قبل أن تتواجد الخلية البشرية في رحم الأم وجدت المرأة ذات تركيبة وأجهزة خاصة تناسب حياة الطفل ثم تحدث للأم تطورات في أجهزتها البدنية والروحية مناسبة لحياة الطفل وتطوراته، هل يمكن أن نعتبر كل هذا من خواص الخلية البشرية.

أما **الاعتراض الثالث** الذي يقول: من أين نثبت أن النظام الموجود فعلا هو "النظام الأكمل" لأننا لم نلاحظ مشابهه حتى نقيس به؟ وليس

---

(١) محاضرات في الإلهيات للسبحاني، تلخيص علي الرباني، مؤسسة النشر الإسلامي، ص٣٠، ٣١.

لدينا **كون آخر يمكن مقارنته** بهذا الكون حتى يمكننا الحكم بأن كوننا منظم ونستنتج حينها وجود مصمم.

فالجواب عليه: أنه لا يشترط في القول بأن الكون منتظم وجود كون آخر يقارن بكوننا، فوصف أي شيء بصفة لا يستلزم وجود مماثل له لكي يوصف، والشيء يوصف عن طريق رؤيته بالبصر أو الإحساس به عن طريق الحواس الأخرى، أو رؤية الشبيه بالبصر أو الإحساس بالشبيه عن طريق الحواس الأخرى.

ومثال ذلك: إذا حكمنا على الطبيب الذي عالج المريض بالحكمة والذكاء، لإدراكه أن المريض يحتاج إلى جرعة معينة من دواء معين، فإننا لم نحتاج في حكمنا عليه بالحكمة والعقل أن نقارنه بطبيب آخر، فنفس فعله يدل على أنه فعل محكم.

وأصل الاختلاف مع الملاحدة إنما هو في إثبات احتياج الكون إلى خالق وضرورة وجود الخالق من حيث هو، وهذا القدر من الإثبات يدل على الإحكام والنظام دلالة ظاهرة قطعية لا لبس فيها.

ويمكن أن يقال: "إن أكملية النظام الفعلي لا ترتبط ببرهان النظام، فرسالة هذا البرهان ليست أكثر من إثبات هدفية في هذا الكون، واستحالة صدوره عن طريق الصدفة، إذ النظام البديع يدل على أن فاعل هذا الكون متصف بالقدرة والعلم، سواء كان النظام هو "النظام

الأكمل" أو لا، لأن برهان النظام لا يتكفل ببيان وإثبات وصف فعل هذا الفاعل وهو الأكملية"[1].

فهيوم تصور أن برهان النظام قادر على إثبات جميع معتقدات الإلهيين في حين أن المؤمنين لم يقيموا دليل النظم من حيث الأصل إلا لإثبات وجود الله وضرورة احتياج الكون إلى خالق مبدع مريد حكيم، وهذا القدر يتحقق بدليل الإتقان والإحكام، وأما ما زاد على ذلك فهناك أدلة أخرى تدل عليها عند المؤمنين.

أما **الاعتراض الرابع** الذي يقول: من يدري لعل خالق الكون جرب صنع الكون مرارًا حتى اهتدى إلى النظام الفعلي؟ ولعل هذا النظام المُشاهَد اليوم هو من إفراز الكثير من العوالم التي خضعت للتطور والازدهار شيئاً فشيئا عبر العصور والأزمنة الغابرة إلى أن أنتجت هذا العالم.

وهذا الاعتراض سببه أيضًا أن هيوم لم يدرك ماهية برهان النظم، فقد ظن أن جميع العقائد يمكن استنتاجها من برهان واحد، و"الإشكال المنهجي لدى الناقدين للأديان أنهم يتعاملون مع اعتقاد المؤمنين وكأنه ليس لديهم إلا دليل واحد فقط يبنون عليه جميع اعتقاداتهم، وهذا غير صحيح، فالمادة الاستدلالية عند المؤمنين مادة مركبة من أدلة متعددة

(١) الله خالق الكون، جعفر الهادي، ص٣٠٩.

تتضافر فيما بينها في الدلالة على كل مكونات اعتقادهم في خالقهم ومعبودهم"[١].

لذا على هيوم أولا "إدراك أن فائدة هذا البرهان هي إثبات كون الطبيعة غير موكلة إلى نفسها، بل إن الطاقات الموجودة فيها مسخرة من قبل قدرة عظمى، فهي مؤثرة بفعل فاعل ماورائي يمتلك سلط عليها، هذا المقدار من البرهان يكفي لتحقيق المراد منه، ولكن في ما يخص ميزات القدرة الماورائية وخصائصها الذاتية، فهي مباحث يمكن التطرق إليها في رحاب براهين أخرى؛ وهذا الأمر بطبيعة الحال لا يقلل من شأن برهان النظم، ولا يمس باستدلاله، فهدفه هو الانطلاق بالذهن البشري من عالم الطبيعة إلى عالم ماوراء الطبيعة.

إذن، يقال في الرد على هذا الانتقاد إننا نروم من البرهان المذكور إثبات أن ناظم هذا العالم هو الذي يمتلك الشعور فقط، وأما صفاته الأخرى فيمكننا البرهنة عليها بواسطة طرق واستدلالات أخرى"[٢].

وهذا الاعتراض يرتبط بالعلم الإلهي وهل أنه فعلي أم لا، فالعلم الإلهي حاصل بالفعل، وليس شأنه شأن الموجودات الممكنة الّتي يزداد علمها، ويتكامل إدراكها شيئًا فشيئًا، وتنتقل من القوة إلى مرحلة الفعل تدريجيًا، ولا سبيل للقوة والإمكان إلى ذاته تعالى ليكون علمه علمًا

(١) انظر: ظاهرة نقد الدين، د.سلطان العميري، ٢/ ٢١٧.

(٢) دروس فلسفية في شرح المنظومة، مرتضى مطهّري، ١/ ٥٤٥.

بالقوة، وحاصلا من القوة إلى الفعل عن طريق التجربة، فواجب الوجود بالذات واجب من جميع الجهات.

أما الاعتراض الخامس الذي يقول: لو فرضنا أن برهان النظام أثبت وجود الخالق العالم القادر، بيد انّه لا يدل مطلقًا على الصفات الكمالية كالعدالة والرحمة الّتي يوصف بها.

فالجواب عليه كالجواب عن الاعتراض السابق، أن المؤمنين لا يعتمدون على دليل واحد في إيمانهم بوجود الله وثبوت صفات الكمال له، وإنما إيمانهم قائم على حزمة متمددة من الأدلة، تتضافر فيما بينها في تأسيس اعتقادهم في خالقهم ومعبودهم.

ولكن هيوم وأمثاله أعرضوا عن هذه الحقيقة المركبة لأدلة المؤمنين، وطفقوا يتعاملون مع اعتقاداهم في خالقهم على أنه ليس لهم فيه إلا دليل واحد فقط[1]، فاعتراض ديفيد هيوم خارج عن محل النزاع.

مما سبق: يتبين لنا أن إنكار هيوم لأهم أسس إثبات الصانع كمبدأ السببية جعله لا يجيز البحث عن مسبب لوجود العالم، كما أن نفيه للغائية يترتب عليه أنه لا غاية لوجود العالم، كما أن اعتماد هيوم الكلي على المنهج التجريبي الحسي أدى به إلى نبذ كل الحقائق التي لا تعضدها التجربة والتملص من كل الحقائق التي تجيء عن طريق الغيبيات.

---

(١) انظر: ظاهرة نقد الدين، د.سلطان العميري، ٢/ ٢١٦.

المبحث الثالث: نقد كانط (ت:١٨٠٤م) لدليل النظم والتصميم.

رغم ثناء كانط على دليل النظم أو ما يسميه (الدليل اللاهوتي الطبيعي) على وجود الله حين قال: " إذا ذكر دليل النظم فما على الرؤوس إلا أن تنحني احترامًا له، فهو أقدم البراهين وأوضحها، وهو الدليل المناسب لجميع العقلاء، ويضفي روحانية على مطالعة الطبيعة، فالعالم الحالي بما يحتويه من النظم والجمال والهدفية ينفتح في وجوهنا، بحيث يبقى المرء أمامه حائرًا عاجزًا لسانه عن وصف الكثير من الأمور العجيبة"(١).

إلا أن كانط لم يعتبره دليلًا كافيًا لإثبات وجود الكائن الأسمى، وانتقد هذا الدليل ضمن نقده للأدلة العقلية المحضة على وجود الإله، فالإله عنده ليس جزء من العالم المادي ولا يمكن أن يقع موضوعًا للمعرفة، والعقل لا يمكنه أن يفكر إلا فيما هو تجريبي أو حسي، وأن مشكلة الدليل اللاهوتي تعود إلى كونه يفترض الكمال التام للكائن الضروري مثلما يفترض الحاجة إلى علة أولى غير مشروطة(٢).

ويرى كانط أن النتيجة بدليل النظم أكبر من المقدمات التي يبتدأ بها " فيمكن للدليل أن يثبت على الأكثر مهندسًا للعالم سيظل دائمًا

---

(١) نقد العقل المحض، عمانوئيل كنط، ترجمة موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت ط١، ١٩٨٨م، ص٣٠٨

(٢) انظر نقد العقل المحض، كنط، ص٣٠٨، ٣٠٩

محدودًا باستعدادات المادة التي يشتغل بها، لا خالقا للعالم يخضع كل شيء لفكرته، وهيهات أن يكفي ذلك للمقصد الكبير الذي نصبوا إليه والذي هو التدليل على كائن أصلي كاف لكل شيء"[1].

فالنظام الذي يُلاحظه الإنسان في الأشياء الممكنة لا يمكنه أن يدفع عقله على الإطلاق نحو استنتاج وجود شيء سوى مُنظِّمٍ مُمكن فحسب، وليس إلهًا[2].

وبناء على ذلك ينتهي كانط إلى قوله: "إني أزعم ان كل المحاولات لاستعمال محض اعتباري للعقل بصدد الإلهيات هي محاولات عقيمة كليًا، وهي بموجب قوامها الداخلي باطلة ولا طائل تحتها، ومن جهة أخرى، إن مبادئ استعماله الطبيعي لا تؤدي إلى أي إلهيات"[3].

ويرى كانط أن بنية العقل يستحيل معها الوصول إلى أية معرفة عن الحقيقة التي نسميها الله الكامنة خارج متناول حواسنا، وبالتالي لا نستطيع إثبات وجود الله أو إثبات عدم وجوده لأننا لا نملك أي وسائل للبرهان[4].

---

(١) انظر: نقد العقل المحض، كنط، ص٣١١.

(٢) انظر: كانط والبراهين اللاهوتية (بطلان الحجة على عدم وجود الكائن الواجب)، روبرت آندرو آرييل، تعريب هبة ناصر، مقالة بمجلة الاستغراب خريف ٢٠١٧م، ص١٥٧.

(٣) انظر نقد العقل المحض، كنط، ص٣١٢.

(٤) انظر: الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ص١٧١.

يقول كانط" كُتِب على العقل البشري... أن يكون مثقلا بأسئلة ترهقه، وهو لا يستطيع أن يصرف النظر عنها؛ لأنها مفروضة عليه بحكم طبيعة العقل نفسها، لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع الإجابة عنها، لأنها تجاوز كلّ ما يملك العقل البشري من قدرات"[١].

ويتوسع كانط في نقده، وينتهي إلى أن من المستحيل على العقل النظري البرهنة على وجود الله بطريقة عقلية نظرية، لأن العقل الإنساني لا يستطيع أن ينتقل من تصور موجود واجب الوجود إلى الوجود الفعلي له، كما أنه لا يستطيع الانتقال من الوجود الفعلي إلى الموجود الواجب الوجود، وعلة ذلك أننا: إما أن نتصور الله على أنه امتداد للظواهر-وفي هذه الحالة يكون مشروطا وماديا- ولن يكون الله حقا، وإما أن نتصوره خارج الظواهر، وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نحكم هل هو موجود، ويظل بالنسبة إلينا مجرد مثل أعلى[٢].

لقد استنتج كانط أنه من المستحيل على العقل النظري إثبات وجود الله بطريقة عقلية نظرية، وهذا نتيجة حتمية **لنظريته في المعرفة** التي تكتفي بالتعامل مع الظواهر التي تتفاعل مع الحواس، بالرجوع إلى الأطر القبلية للعقل.

---

(١) انظر نقد العقل المحض، كانط، ص١٧.

(٢) انظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤م، ٢/ ٢٨١.

ونفس الأمر بالنسبة إلى اعتراضات كانط على دليل النظم فما هي إلا نتائج طبيعية ترتبت على منهجه الحسي، وعلى نقده للعقل النظري حينما جعل العقل مساويًا للحس والإدراك الحسي[1].

وعندما صرح بأن العقل النظري الخالص له حدود لا يمكن أن يتجاوزها، فهو مختص بالحكم على ظواهر الأشياء، ولا يمكن له معرفة حقائق الأشياء في ذاتها[2].

فهـذه كلهـا دعـاوى لا دليـل عليهـا سـوى الادعـاءات والافتراضـات، اعتمـد عليهـا كـانط وغـيره مـن التجـريبيين في نقـدهم لأساليب العقل المحض.

---

(١) انظر: نقد العقل المحض، كانط، ص٤٥، و: مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علما، إيمانويل كنت؛ ترجمة الدكتورة نازلي إسماعيل حسين، مراجعة د. عبد الرحمن بدوي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٨٦.

(٢) انظر نقد العقل المحض، كانط، ص١١١.

يذكر د.محمود زيدان أن عبارة (الأشياء في ذاتها) لها معنيان: المعنى الأول يتعلق بالعلم الظواهر، والمعني الثاني يتعلق بما وراء هذا العالم.

فحين يتحدث كانط عن الأشياء في ذاتها بالمعنى الذي يتعلق بالعالم الظواهر، لا يتحدث عن عالمين متميزين وإنما يتحدث عن عالم واحد له وجهان، وجه يمكننا إدراكه ومعرفته- وهو الظاهر منه-، ووجه لنفس العالم لا يمكننا إدراكه أو معرفته (انظر: كانط وفلسفته النظريّة، د محمود فهمي زيدان، دار المعارف ط٣، ١٩٧٩م، ص٢٣٤).

فالعقل له وظائف تنقسم بانقسام العلم إلى وظائف تصورية، من إدراك المعاني الكلية التي هي فوق الإشارات الحسية، وأيضًا تمييز المعاني الذاتية عن المعاني العرضية وانتزاع المفاهيم الاعتبارية، بالإضافة إلى عملية التحليل والتركيب.

كما أن للعقل وظائف تصديقيّة كالحكم على الأشياء، ولا يقتصر دور العقل على الحسيات أو التجريبيات فقط.

وليست الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة، فالحواس لا تستطيع أن تقول لنا كلمة واحدة عن الحمرة والزرقة، عن المرارة والحلاوة، عن الألم الجسدي واللذة الجسدية، عن الجمال والقبح، عن الخير والشر...[1].

كما أن هناك أمورًا أصبحت من المسلمات العلمية دون أن تدرك بالحس، وإنما اعتمدوا في إثباتها على إدراك الآثار المترتبة عليها مثل: الكهرباء، وقانون الجاذبية، وجزيئات الذرة...وغيرها[2].

---

(١) انظر: العلم في منظوره الجديد، روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو، ترجمة د.كمال خلايلي، سلسلة عالم المعرفة العدد رقم ١٣٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بالكويت، ١٩٨٩م، ص١٢٤.

(٢) انظر: الله يتجلي في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، أشرف على تحريره جون كلوفر مونسيما ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: د.محمد جمال الدين الفندي، دار القلم بيروت، ص١٣٦، و:

والعقل البشري كلما استفاد مزيدا من الخبرة وحصل شيئا من التقدم فإنه يرتفع من المحسوس إلى المعقول ومن التجسيد إلى التجريد، والأفكار المادية وتياراتها في التاريخ تنشأ في الأمم في حالات الضعف والانحلال وابتعاد الأمم عن مصدر قوتها(١).

كذلك فإن إقصاء العقل عن الاعتبار المعرفي أحد الأسباب الرئيسة للإلحاد واللادينية؛ وذلك لأنّه بسقوط هذا الحاكم الفطري تسقط جميع المبادئ الأولية، وعندها ترتفع راية الصدفة والاتفاق؛ لتكون هي من يجيب عن الأسئلة الوجودية(٢).

ويمكن أن نتسائل عن حقيقة العقل النظري -الذي انتقده كانط وجعل أحكامه تنحصر في ظواهر الأشياء ولا يمكن له معرفة الأشياء في ذاتها- هل العقل شيء في ذاته أو هو من ظواهر الأشياء؟ فإن كان من ظواهر الأشياء فمن أين أخذت معطياته الحسية؟ وإن كان شيئًا في ذاته، فكيف لكانط أن يحكم على شيءٍ لا يمكن معرفته؟! فهو يرى أن الإنسان

الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان، ط دار المختار الإسلامي بالقاهرة، ط٦، ١٩٧٦م، ص٤٣.

(١) انظر: جذور الفكر المادي، د.عبد المعطي محمد بيومي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٢٩١.

(٢) انظر: إقصاء العقل عن الحياة ..النتائج المريرة، سعد الغري، دار ومضات للترجمة والنشر ط١، ٢٠١٨م، ص٩٧.

لا يستطيع تحصيل معرفة الشيء في ذاته، وفي الوقت نفسه يستمر في وصف العقل كشيءٍ في ذاته، ويحكم عليه!

ولقد علق د. زكي نجيب محمود على ما انتهى إليه كانط في كتابه "نقد العقل الخالص" بقوله: "هكذا ينتهي الكتاب الأول في النقد، وكأننا بديفيد هيوم، ينظر إلى هذه النتائج التي وصل إليها كانت والتي أراد بها أن يبني ما هدمه هيوم، فيبتسم ابتسامة ساخرة! علام انتهى هذا الكتاب الضخم العميق الذي أراد أن ينقذ العلم والدين من معاول الشك؟

لقد حدد-أي من كانط- العلم وحصره في علم الظواهر، فإن تغلغل إلى لباب الأشياء وحقيقتها زلّ وأخطأ، وهكذا أنقذ العلم!! ثم زعم أن حرية الروح وخلودها وأن وجود إله خالق مما يستعصي على العقل أن يقيم عليه الدليل، وبهذا أنقذ الدين!!

ولا عجب أن رجال الدين في ألمانيا رفضوا الانقاذ واحتجوا عليه، وأرادوا أن ينتقموا لأنفسهم من الفيلسوف -أي من كانط-، فأطلق كل منهم على كلبه اسم عمانويل كانط"[1].

ويقول أحد الباحثن الغربيّين المعاصرين عن النتائج التي وصل إليها كانط بعد نقده للعقل النظريّ "بالرغم من أنّ الموقف المعرفيّ الذي

---

(١) قصة الفلسفة الحديثة، د.زكي نجيب محمود، أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ط١، ١٩٣٦م، ص١٥٥.

قام كانط بتطويره في "نقد العقل المحض" يدعي أن وجود الله يبقى سؤالا مفتوحًا، إلا أن هذا الموقف -بالأخص إذا تناولناه بشكل منفصل عن مؤلّفات كانط الأخرى- يلائم بسهولة نظرة إلحادية متأصلة.

إن إصراره الجازم بعدم إمكانية الوصول إلى المعرفة العلمية بوجود الله من خلال مناهج العلوم الطبيعية المادية، يبدو أقل ضررًا من الناحية الفلسفية حين ننظر إليه على ضوء التأكيد الإضافي على أن المعرفة العلمية **الوحيدة** بالوجود الموضوعي هي تلك التي يؤمنها **العلم المادي**.

إذا لم يمكن معرفة الله من خلال الأسلوب الذي يتيح العلم الطبيعي الوضعي من خلاله معرفة الأشياء، وإذا كان هذا الأخير هو الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها معرفة الشيء فعلًا، فإن الموقف الفلسفي اللاحق المعترف بكونه مخالفًا لموقف كانط والذي يعطي الأولوية المطلقة لهكذا اعتبارات نظرية، لن يكون لديه أي سبب لإثبات وجود الله من خلال هذه الطريقة.

فقد أثبتت نظرية كانط حول المعرفة أنها مصدر خصب من الإلهام لأشكال مختلفة من مذهبي الطبيعة والوضعية الإلحاديين"[1].

---

(١) الإلحاد والاغتراب، بحث في المصادر الفلسفية للإلحاد المعاصر، باترك ماسترسون، ترجمة هبة ناصر، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ط١، ٢٠١٧م، ص٤٦،٤٧.

وإذا كان كانط لم يستطع أن يثبت وجود الإله بالعقل النظري فإنه لجأ للعقل العملي الذي جعل مجاله البحث في الأخلاق والدين ورأى أنه قادر على افتراض عالم الأشياء في ذاتها وتبريره، حيث يقول: "لقد وجدت من الضر-وري إنكار المعرفة لكي أجد ملجأ للإيمان...من الضروري أخلاقيًا أن نقر بوجود الله "[1].

وهناك مصلحة حرة للعقل العملي المحض في قرار القبول بصانع حكيم للعالم، وهو مبدأ ذاتي بصفته حاجة[2].

لقد ألغى كانط المعرفة من أجل أن يفسح المجال للإيمان فوجد أنه من الضروري إنكار المعرفة وإيجاد ملجأ للإيمان، لأن الإيمان عنده هو اعتقاد بأشياء لها أسس خلقية مع إمكان التفكير في عالم الأشياء في ذاتها، وتبرير الاعتقاد به على أسس خلقية، وبالتالي فقد مهد كانط الطريق إلى الأخلاق والدين.

وكما قال كانط: "يستطيع الانسان قويم الخلق أن يقول بحق: إنني أريد لأن يوجد إله، وأن يكون وجودي في هذا العالم، أيضًا خارج الرباط الطبيعي، وجودًا في عالم معقول محض، وأخيرًا أن يكون دوام وجودي لا متناهيًا، إني أتمسك بهذا من دون أن أعير أي اهتمام

---

(١) نقد العقل العملي، إمانويل كانط، ترجمة غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ط١، ٢٠٠٨م، ص٢١٩.

(٢) انظر: نقد العقل العملي، كانط ص٢٤٧.

للسفسطات...وإني لن أدع أحدًا ينزع مني هذا الاعتقاد، لأنها هذه هي الحالة الوحيدة التي تكون فيها مصلحتي"(١).

هكذا افترض كانط وجود الله من خلال العقل العملي الأخلاقي، أي من خلال إمكانية الخير الأسمى في العالم.

واعتبر كانط أن بين عوالم الأخلاق والطبيعة والله انسجامًا واضحًا، وهو أن الغايات السامية تتمثل بالأخلاق، وبحسب العقل العملي الأخلاقي فإن هناك ضرورة لافتراض وجود الله، وأن قانون الأخلاق المقدس هو وصايا إلهية لكوننا ملزمين بها من الداخل(٢).

وبهذا "يضع كانط نظريته في إمكان التفكير في عالم الأشياء ذاتها وتبرير الاعتقاد به على أسس خلقية لا في كتاب نقد العقل الخالص وإنما في كتاب نقد العقل العملي"(٣).

وبهذا يقبل كانط بوجود الإله بحكم العقل العملي، بعد عدم قدرة العقل النظري على إثبات وجوده، ويعتقد أن القبول بوجود الإله أمر باطني (في نفس المعتقد)، قائم على أسس الضرورة الأخلاقية، وهذا

---

(١) نقد العقل العملي، كانط، ص٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) انظر: نقد العقل المحض، كانط، ص٣٩٠، ٣٩١.

(٣) انظر: كانط وفلسفته النظرية، د محمود فهمي زيدان، دار المعارف ط٣، ١٩٧٩م، ص٢٣٤.

تسويغ للأخلاق عن طريق الاعتقاد بالإله، وليس اعتقادًا علميًا مبنيًا على أدلة أو قولًا بوجود الإله في الواقع الخارجي

ولهذا السبب يرى كانط أن الإنسان لا يحتاج إلى الدين من أجل تنظيم سلوكياته، كما أن الأخلاق عنده أيضًا ليست مبنية على الدين.

المبحث الرابع: فرضية التطور.

يدعي التطوريون أن فرضية التطور كافية في تفسير ظهور الأنواع والأجناس في هذا الكون؛ حيث تقوم هذه الفرضية على أن أشكال الحياة المختلفة تعود إلى أصل واحد مشترك، والتنوع الحاصل فيها نتيجة للتحولات التدريجية العشوائية التراكمية التي تحدث في الكائنات الحية عبر أزمنة طويلة، وللانتخاب الطبيعي الذي يستبقي الأصلح.

وعلى هذا فالعالم لا يخضع للتنظيم والتدبير والعناية الإلهية، وإنما يخضع لآلية التطور عبر الانتخاب الطبيعي (الصدفة المنظمة)، فلا مسوغ للجوء إلى خالق، أو سبب أو مصمم خارج عن هذا العالم.

فها هو الداروِيني المعاصر ريتشارد دوكنز[1] ينكر وجود مصمم ذكي لهذا النظام، ويرجعه إلى التطور والانتخاب الطبيعي حيث يقول:

---

(١) ريتشارد دوكنز: ولد في عام ١٩٤١م، وعمل أستاذًا للحيوان والأحياء التطورية بجامعة أوكسفورد، وهو من أشهر المدافعين عن الداروينية، عُرف دوكينز بكونه ملحدًا ومنتقدًا للخلقية والتصميم الذكي في كتابه صانع الساعات الأعمى، ويدّعي دوكينز في كتابه وهم الإله أن فكرة الخالق الخارق لا وجود لها وأن الإيمان الديني وهم. انظر: الداروينية الجديدة "صانع الساعات الأعمى"، ريتشارد دوكنز، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمى، دار العين للنشر القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م، ص٧، و: مسعى البشرية الأزلي، الله لماذا؟ كارن آرمسترونج، ترجمة د.فاطمة نصر، د.هبه محمود عارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٥٨ وما بعدها.

"ربما أنه ليس في التاريخ أي تدمير لطريقة تفكير شائعة ببراهين ذكية كالذي فعله داروين بحجة التصميم، ذلك كان أبعد من كل التوقعات.

وبفضل داروين، لم يَعُدْ صحيحًا بأن كل الأشياء التي تبدو لنا وكأنها مصممة، لا يمكن أن تكون غير ذلك، إن لم تكن فعلًا كذلك، التطور بالانتخاب الطبيعي ينتج ما يمكن أن يبدو كأروع تصميم بأعلى درجات التعقيد والأناقة"[١].

ويقول عن الانتخاب الطبيعي إنها"تلك العملية الأتوماتيكية العمياء غير الواعية التي اكتشفها داورين، والتي نعرف الآن أنها تفسر بيولوجيا الحياة، فليس له عقل فيه هدف، إنه بلا عقل، وبلا عين لعقل، وهو لا يخطط للمستقبل، وليس له رؤية، ولا بصيرة للأمام، ولا بصر على الإطلاق، وإذا كان من الممكن أن يقال عنه إنه يلعب دور صانع الساعات في الطبيعة، فهو صانع ساعات أعمى"[٢]،

"فالانتخاب الطبيعي هو صانع ساعات أعمى، أعمى لأنه لا يرى أمامه، ولا يخطط للنتائج، وليس له هدف يراه، على أن النتائج الحية للانتخاب الطبيعي تحدث فينا انطباعًا دامغًا بأن فيه مظهر للتصميم والتخطيط"[٣].

---

(١) وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ص٨١.

(٢) الداروينية الجديدة "صانع الساعات الأعمى"، ريتشارد دوكنز، ص٢٦.

(٣) الداروينية الجديدة "صانع الساعات الأعمى"، ريتشارد دوكنز، ص٤٥.

"والانتخاب الطبيعي ليس فقط حلا اقتصاديًا معقولًا وأنيقًا فقط، بل إنه الحل الفعال الوحيد الذي تم طرحه حتى الآن كبديل للصدفة المقترحة منذ الأزل، والتصميم الذكي يعاني من نفس مشاكل فرضية الصدفة"(١).

ويقول عالم الأحياء التطورية فرانسيسكو أيالا: "قد يوحي التصميمُ الوظيفي في الكائنات الحية وميزاتُ هذه الكائنات بوجود مصمم لها، إن أعظم ما حققه داروين هو إثبات إمكانية تفسير النظام الموجه في الكائنات الحية كنتيجة لعملية طبيعية (الانتخاب الطبيعي) دون الحاجة لافتراض خالق أو أي عامل خارجي"(٢).

ويؤكد هذا عالم الوراثة مايكل دانتون حين يقول: "إن انتصار نظرية التطور يعني نهاية الإيمان التقليدي بأن خلق العالم قد رتب لغاية وهدف؛ وهو ما يسمى الرؤية الغائية التي سيطرت على العالم الغربي لمدة ألفي عام خلت، فوفقًا للنظرة الداروينية فإن كل ما نراه من التصميم والترتيب والتعقيد في الحياة والغائية الغامضة وراء الأنظمة الحية هي مجرد نتيجة عمليات عشوائية عمياء-الانتقاء الطبيعي-.

---

(١) وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ص١٢١.

(٢) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص ٢٧، نقلًا عن:
Francisco J. Ayala, "Darwin's Revolution", in Creative Evolution?!, eds. J. H. Campbell and J. W Schopf ((Boston: Jones and Bartlett, 1994

وقد آمن البشر قبل داروين بوجود حكمة إلهية تجلت في تصميمه المعجز في الطبيعة، لكن الصدفة الآن سيطرت بلا منازع، فاستُغني عن الاعتقاد بإرادة الله، وحلّتْ مكانه عجلة حظ لا يمكن توقع نتائجها"[1].

وكذلك يقول دانتون: "الفكرة الجوهرية لكتاب أصل الأنواع أن الأشياء الحية قد نشأت تدريجيًا نتيجة التفاعل المتبادل ما بين الصدفة والانتخاب ... الحياة بكل تجلياتها المتنوعة ليست من خلق الله، وإنما هي ظاهرة طبيعية نقية كنتيجة للتدفق الطبيعي للعالم"[2].

فالطبيعة –كما يرى داروين– مكتفية ذاتيًّا ولا وجود لأي خلل فيها؛ ولهذا لن تكون هناك حاجة للعوامل غير الطبيعية لتبيين الظواهر الطبيعية، ومن هنا، فإن التغيرات الحيوية الّتي تطرأ على الموجودات الحية تحدث على سبيل "الصدفة" و"الاتفاق"، و"الانتخاب الطبيعي" ينتقي أنسب التغيرات مع الظروف المحيطة.

لذلك فقد انطلقت فرضية داروين (ت:١٨٨٢م) من كون الحياة وجدت في البيئة المائية بطريقة ما، ثم تدرجت على مر الأجيال إلى حياة نباتية حول المستنقعات التي ظهرت فيها، وبعدئذ تدرجت ارتقاء إلى حياة حيوانية بدائية، فإلى حيوانات أكبر فأكبر ذات ريش وأجنحة،

---

(١) التطور نظرية في أزمة، مايكل دانتون، ص١٦.

(٢) انظر: التطور نظرية في أزمة، مايكل دانتون، ص٤٥.

فحيوانات أعلى ذات فقرات، فإنسان أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم، فالإنسان العاقل المدرك المفكر وهو المرحلة الأخيرة[١].

وقد انتهى " داروين" إلى أن الأنواع الحالية يمكن أن تفسر بأصل واحد أو بضعة أصول نمت وتكاثرت وتنوعت في زمن مديد بمقتضى قانون الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح وهو القانون اللازم من تنازع البقاء، وقوانين ثلاثة ثانوية هي:

١- قانون الملاءمة بين الحي والبيئة الخارجية .

٢- قانون استعمال الأعضاء أو عدم استعمالها تحت تأثير البيئة أيضًا بحيث تنمو الأعضاء أو تضمر أو تظهر أعضاء جديدة حسب الحاجة .

٣- قانون الوراثة وهو يقضي بأن الاختلافات المكتسبة تنتقل إلى الذرية على ما يشاهد في الانتخاب الصناعي[٢].

ويزعم أنصار داروين أن الحياة الأولى للإنسان والحيوان، بدأت على ظهر الأرض بجرثومة أو جراثيم قليلة تطورت من حال إلى حال تحت تأثير فواعل طبيعية، حتى وصلت إلى هذه التنوعات وعلى رأسها

---

(١) انظر: الإسلام ونظرية التطور، د.محمد أحمد باشميل، دار الفتح للطباعة بيروت، ط٣، ١٩٨٤م، ص ٤٢.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص٣٥٢

الإنسان، فالكائنات العضوية تتطور من السهولة إلى الدقة والتعقيد[١]، و"عندما تتكاثر الكائنات تحدث فيها اختلافات جينية (طفرات وراثية) منها ما هو مفيد بالنسبة للتكاثر فيبقى وينتقل للأجيال التالية، وقد يؤدي إلى تغيرات في كائناتها، والضار من هذه الطفرات يؤدي إلى تلاشي الكائنات الحاملة لها"[٢]، فالطبيعة هي التي تنتخب وتختار الكائن الحي الذي يصلح للبقاء والاستمرار في الوجود، وتورث الكائنات الجديدة صفات معينة يكون حالها أكثر صلاحية وأوفر حظًا للبقاء والعيش، ومع الوقت يبقى الأصلح للبقاء، ويفنى الأقل صلاحًا للبقاء، ثم تأتي طفرة جديدة جينية، عشوائية، إما أن تزيد هي الأخرى من فرصة البقاء للكائن الحي أو لا، فإن زادت من فرصه وقدرته على البقاء استمر، وإلا فني وانقرض.

وبعد اكتشاف مباديء الوراثة المندلية، والتأكد من استحالة توريث الصفات المكتسبة، كان على الدراونة إيجاد آلية تفسر كيفية تكون المعلومات الجينية الجديدة التي يمكن توريثها، ومن ثم تنشأ من خلالها الأنواع الجديدة المدعاة وفقًا لنظريتهم؛ فكانت الطفرة.

---

(١) انظر: الإسلام ونظرية التطور، د.محمد أحمد باشميل، ص ٧.

(٢) خرافة الإلحاد، د.عمرو شريف، نيو بوك للنشر والتوزيع بالقاهرة، ط٧، ٢٠١٧م، ص٢١٣.

وتعتمد الداروينية الحديثة على تفسير حدوث التطور بواسطة الطفرة والانتخاب الطبيعي معًا، فبينما تولد الطفرة المعلومات الجينية للصفات الجديدة المتطلبة للانتواع، يقوم الانتخاب الطبيعي بالانتقاء من بين المعلومات الجينية المتولدة لتمرير الصفات الجديدة الأصلح للأنواع الناشئة. من ثم، يكون الانتخاب الطبيعي هو المسئول عن توجيه التطور.

ويحاول الدراونة استخدام التشابه في الخواص الشكلية والظاهرية للحيوانات المختلفة في التدليل على التطور، وذكر أن التغيرات الصغيرة التي تحدث داخل النوع الواحد تتجمع بمرور الزمان إلى أن تصبح نوعا جديدا مختلفا عن النوع القديم.

مع تهربهم من التفريق بين التطور الصغير والتطور الكبير ضمن آلية الانتخاب الطبيعي، فالتطور الصغير: يشير إلى التغير والتنوع في صفات النوع الواحد من الكائنات الحية بشكل بسيط؛ كتغيير اللون، أو الحجم فقط للنوع ذاته عبر الأجيال المختلفة.

وفي **المقابل** فإن التطور الكبير: يشير إلى التغيرات التي تنتج أنواعًا جديدة كليًا أو أعضاء جسدية جديدة عبر مرور الكثير من الوقت وتراكم حدوث الكثير منها؛ حيث يمكن مثلا للديناصورات وفقها أن تتحول إلى طيور[1].

---

(١) انظر: التطور الموجه بين العلم والدين، د.هشام عزمي، ص٢٨ وما بعدها، و: أقوى براهين د.جون لينكس في تفنيد غلطات منكري الدين، أحمد حسن، ص ٣٠٨-

أما عن موقف المنظرين لنظرية التصميم الذكي من فرضية داروين فيتضح في السمات التالية:

- فرقوا بين التطور الصغير (أي التغيير البسيط في صفات النوع الواحد) -وهو ليس محل خلاف- وبين التطور الكبير (نشوء نوع جديد من نوع آخر) وهو محل الخلاف، وبينوا تلاعب الدراونة بالمفاهيم بذكرهم للعديد من الشواهد والأدلة على التطور الصغير دون الكبير.

فمن معاني التطور الغير واردة في محل النزاع؛ إمكانية تكيف سائر الكائنات الحية مع الظروف البيئية المتغيرة، ومنها أيضا تغير الكائنات الحية بمرور الزمن، ومنها أيضا إمكانية تغير تتابع الجينات في الجماعة الحية.

أما محل النزاع في التطور فيقوم على: انحدار الجراثيم والبشر والكائنات الحية الأخرى من سلف مشترك واحد وجد في الماضي السحيق، ترجع إليه كل سلالات الكائنات الحية، وكذلك فإن الداروينية تؤكد على أن التغيرات التطورية تتم بآليات مادية خالصة ولا تفتقر إلى توجيه ذكي، وبالتالي تسير العمليات التطورية من غير غاية أو خطة مشتركة بل الصدفة والعشوائية هي المسئولة عن عملية التطور[1].

٣١٠، و: التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا؟ د.عرفان يلماز، ترجمة: رشا حسن، ومحسن هريدي، دار النيل بالقاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

(١) انظر: تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص٢٢.

ولقـد أجـاب الأحيـائي جوناثـان ويلـز عـلى سـؤال وجهـه لـه الصحفي اللاهوتي "لي ستروبل" يقول فيه: عندما يذكر بعـض النـاس كلمة التطور فهم يقصدون فقط أن تغيرًا قد حدث بمرور الزمن، لكـن هذا ليس وصفا دقيقًا أليس كذلك؟

فأجابه جوناثان ويلز قائلًا: "بـالقطع لا، لـو كـان هـذا هـو كـل المقصود من الداروينية لما وجد هناك أي تناقض، لأننا نتفـق جميعـا عـلى وجود التغير البيولوجي بمرور الزمن، آخرون يعرفون التطور عـلى أنـه مجرد سلالة بها تعديل، لكني أقول مرة أخرى أن الجميع يتفقون على أن كل الكائنات الحية في فصيلة واحدة ترتبط من خلال سلالة بهـا تعـديل وهذا يحدث في المسيرة العادية للتكاثر البيولوجي...

فالداروينية هي النظريـة القائلـة بـأن كـل المخلوقـات الحيـة هـي سلالات معدلة لنسل مشترك عـاش منـذ زمـن بعيـد، فمـثلا أنـت وأنـا سلالة أسلاف شبه قرود وفي الواقع نشترك في نسـل مشـترك مـع ذبـاب الفاكهـة، تؤكـد الداروينيـة عـلى أن كـل فصـيلة جديـدة ظهـرت يمكـن تفسيرها بفكـرة سـلالة بهـا تعـديل وتؤكـد الداروينيـة الجديـدة أن هـذه التعديلات هي نتيجة الاختيار الطبيعي الذي يعمل في التحولات الجينية العشوائية"[1].

---

(١) انظر: القضية...الخالق، لي ستروبل، ترجمة سليم اسكندر، حنا يوسف، مكتبة دار الكلمة، ط٢، ٢٠١٣م، ص٤٥، ٤٦.

ويستشهد جوناثان ويلز على المعني المذكور للتطور والذي هو محل الخلاف مع الدراونة بما ورد في كتيب الأكاديمية العلمية الأمريكية -التي تدعم التطور- "التطور الحيوي يعني: أن الكائنات الحية لها أسلاف مشتركة، ومع مرور الزمن تتسبب التغيرات التطورية في ظهور أنواع جديدة، وقد سمي داروين هذه العملية بـ "الانحدار مع التغير" وما يزال هذا التعريف صالحا للتعبير عن مفهوم التطور الحيوي حتى اليوم"[1].

ويعلق جوناثان ويلز على ذلك فيقول: "أحيانا يرد أنصار نظرية داروين -عندما يجابهون بالنقد- بادعاء أن التطور ببساطة هو مجرد حدوث التغير عبر الزمن لكن تنطوي هذه الإجابة على تملص واضح إذ لن نجد إنسانا عاقلا ينكر حقيقة التغير في الطبيعة ولا حاجة لنا بداروين ليقنعنا بوجود مطلق التغير عبر الزمن، ولو كان معني نظرية التطور هو مجرد وجود التغير مع مرور الزمن فقط فلن نجد بين الناس من يجادل حول هذه النظرية مطلقا إذ لا أحد يعتقد بأن التطور الحيوي مجرد تغير بمرور الزمن فقط...

وبكل تأكيد يحدث هذا، لأن كل الكائنات داخل النوع الواحد مرتبطة ببعضها عبر الانحدار مع التغير، ونحن نرى ذلك في عوائلنا،

---

(١) أيقونات التطور، علم أم خرافة، جوناثان ويلز، ص٥.

ويلاحظه المزارعون والقائمون على تربية النباتات والحيوانات، ولكن هذا يُجانب محل النزاع الحقيقي.

لا يرتاب أحد في أن الانحدار مع التغير يحدث أثناء عملية التكاثر الحيوي الطبيعي فمحل النزاع الحقيقي هو ما إذا كان الانحدار مع التغير يفسر ظهور أنواعا جديدة أو بالأحرى كل نوع من الأنواع مثل فكرة التغير مع الزمن فكرة الانحدار مع التغير ضمن أفراد النوع الواحد ليست محل خلاف مطلقا، إلا أن نظرية التطور الداروينى تدعي ما هو أكثر من هذا إنها لتدعي أن الانحدار مع التغير يفسر ظهور وتنوع كل الكائنات الحية"[1].

كذلك يستشهد الأحيائي جوناثان ويلز بما كتبه مجموعة من علماء الأحياء في مجلة "علم الأحياء النمائي" عام ١٩٩٦م وملخص ما ذكروه أنه قد يكون علم الوراثة كافيا لشرح التطور الصغير لكن لا تصل التغيرات التطورية الصغيرة في تواتر الموروثات لحد تحول الزواحف إلى ثدييات أو تحول السمك إلى برمائيات يؤدي التطور الصغير إلى التكيف مع البيئة بما يعني البقاء للأصلح ولا يعني ظهور الأصلح ووصلوا إلى استنتاج أن أصل الأنواع مشكلة داروين تبقي مشكلة غير محلولة[2].

---

(١) أيقونات التطور، علم أم خرافة، جوناثان ويلز، ص٥، ٦.

(٢) انظر: تصميم الحياة، اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص١٥٥.

ويستشهد ويلز بقول أحد المنظرين للتطور وهو "تيوديسيوس دوزانسكي" عن السبب الذي جعلهم يربطون بين التطور الصغير والكبير فيقول: "لا توجد طريقة لفهم آليات التطور الكبير التي تحتاج للزمن بالمقاييس الجيولوجية إلا من خلال تعميم العمليات التطورية الصغيرة المشهودة في فترة حياة الإنسان...

لهذا فإننا مجبرون على وضع علامة المساواة بين آليات التطور الصغروي وآليات التطور الكبروي وفق معلوماتنا القاصرة الآن للمتابعة في أبحاثنا إلى أقصي حد يمكن أن تسمح به هذه الفرضية"[1].

لهذا يؤكد عالم الوراثة مايكل دانتون على افتقار نظرية داروين للأدلة التي تساندها فيقول: "لا يوجد أدنى شك أنه بقدر ما كانت ادعاءات داروين حول التطور الماكروي -أي التطور الكبير- تدعو للقلق فإن مشكلته المركزية تقبع في حقيقة أنه **لم يمتلك برهانا تجريبيا** مباشرا على وجود أشكال متوسطة واضحة بحيث يكون التطور قد حدث بالفعل على المدي الواسع وأن أيا من الانقسامات الكبيرة للطبيعة قد يحدث تدريجيا من خلال تعاقب الأشكال التحولية ويعود مرة بعد أخرى إلى المشكلة ذاتها معترفا إن تميز أشكال محددة وكونها غير متمازجة

(١) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص١٥٣.

مع بعضها البعض من خلال روابط انتقالية غير معدودة هي صعوبة واضحة للغاية"[١].

مما سبق يمكن لنا أن نتبين بوضوح رؤية أصحاب نظرية التصميم الذكي للتطور، وبيانهم لمحل النزاع الحقيقي مع الدراونة بالتفريق بين ما يسمى بالتطور الصغير والتطور الكبير، فقد استعمل الدراونة لعقود طويلة أمثلة على التطور الكبير وهي في الحقيقة ضمن دائرة التطور الصغير، وبينوا تلاعب الدراونة بالمصطلحات بشكل يشتت التركيز ويصرف الانتباه عن نقاط الضعف في نظريتهم.

- ومما أكد عليه المنظرين لنظرية التصميم الذكي أن الدراونة يستغلون بعض التشابه بين الكائنات الحية في إثبات الأصل أو **السلف المشترك**[٢]، وكان الأولى بهم إرجاع هذا التشابه إلى **المصمم المشترك**.

يقول مؤلفا كتاب تصميم الحياة: "تشترك الكائنات الحية في العديد من السمات إن العديد من هذه السمات متشابهة لدرجة أنها لا يمكن أن تنشأ إلا عن سبب مشترك، السؤال الأهم هنا يتعلق بحقيقة

---

(١) التطور نظرية في أزمة، مايكل دانتون، ص٦٩-٧٠.

(٢) السلف المشترك: فكرة تقوم على أن كل الكائنات الحية تنحدر من سلف أصلي واحد أو عدة أسلاف قليلة تطورت بعملية أطلق عليها داروين "النشوء والارتقاء"، ووفقا لهذه الفكرة فإن البشر لا يشتركون في أصل واحد مع القرود فحسب، لكنهم يشتركون كذلك مع الفطريات والمحار (انظر: العلم وأصل الإنسان، آن جوجر، دوجلاس إكس، كيسي لسكين، ص٩)

هذا السبب المشترك؛ هل هذا السبب المشترك هو السلف المشترك أم التصميم المشترك أو ربما كلاهما ؟

بغياب التصميم سيغدو السلف المشترك هو التفسير الافتراضي لكل هذه التشابهات التي تملأ العالم الحيوي، ستلجأ كل نظرية مادية في التطور لإنكار مبدأ التصميم واعتناق التفسير الناتج عن السلف المشترك، لكن عندما يعود التصميم إلى الصورة فستلغي أهمية الأسلاف المشتركة[1].

ويرى اللاهوتي فرانك تورِك[2] أن السبب في التشابه بين الكائنات الحية ربما يعود إلى أننا نعيش في نفس الغلاف الحيوي فلو كان كل كائن حي مختلفًا عن غيره من الناحية البيوكيميائية ربما لن توجد سلسلة غذائية

---

(١) انظر: تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص١٩٦، وانظر: التطور نظرية في أزمة، مايكل دانتون، ص١٨٧، وانظر: العلم وأصل الإنسان ص٩.

(٢) فرانك تورك: حصل على الماجستير من جامعة جورج واشنطن ، والدكتوراه من الجامعة اللاهوتية الإنجيلية الجنوبية في الدفاعيات المسيحية، له العديد من المؤلفات الخاصة به، له برنامج تلفزيوني بعنوان لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، وكاتب عمود بعدة مواقع، وقد ناظر العديد من الملحدين المشهورين، انظر: لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، نورمان ل جايسلر، فرانك تورك، ص٤٧٩.

ومن المحتمل أنه لا يمكن وجود حياة بتكوين بيوكيميائي مختلف حتى إن كان ذلك ممكنا فربما لا يمكنها أن تستمر في هذا الغلاف الحيوي[1].

ويضرب تورِك مثالا يوضح فيه أن التفسير الأكثر معقولية هو المصمم المشترك لا السلف المشترك؛ فالغلاية لها أكثر من شكل فهناك غلاية كبيرة في الحجم، وأخرى صغيرة، وغلاية على شكل دائري، وأخرى على شكل مستطيل، وغيرها من الأشكال، فهل يعني هذا أن الغلاية تطورت من معلقة الشاي مثلا أو من أي شيء آخر من أدوات الطهي؟

والجواب بالتأكيد لا، فالتشابه والتدرج لا يعنيان أتوموتيكيا سلفا مشتركا، بل مصمما مشتركا قام بتصميم هذه الغلايات على مختلف الأشكال الأمر الذي ينطبق على جميع الكائنات الحية[2].

- أما عن **السجل الأحفوري**[3] الذي يتشدق به الدراونة والذي كان يأمل داروين أن تُسد الفجوات البينية فيه بالمزيد من

---

(١) انظر: لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، نورمان ل جايسلر، فرانك تورك، ص١٦٤.

(٢) انظر: لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد ص١٦٤.

(٣) عرف وليام ديمبسكي وجوناثان ويلز الحفريات بأنها: متحجرات ذات الشكل الحيواني أو النباتي، مطمورة في أعماق الأرض، تعود لنباتات أو حيوانات عاشت في زمن ما ثم تحولت إلي حجارة نتيجة خضوعها لظروف معينة.

الاكتشـافات الأحفوريـة الحديثـة، فحتـى الآن لم تسـد هـذه الفجـوات البينية، وما تم اكتشافه من الحفريات لا يساوي شيئا بجانـب الحلقـات المفقودة.

يؤكد هذا مؤلفا كتاب "تصميم الحياة" إذ ذكرا أنه إن كانت نظرية التطـور صـحيحة فلابـد مـن اكـتمال السـجل الأحفـوري نظـرا لاعـتماد النظرية الداروينية على التغير التطوري التدريجي فإنه كلما زادت التباينات بين النوعين زادت الحاجة للأشكال الوسيطة بينهما فإن وفرة الأشـكال الانتقالية في السجل الأحفوري سيقدم دلـيلا متينـا عـلى النظريـة، لكـن الدراونة لا يملكون مثل هذا الـدليل إلى الآن، وقـد كـان داروين أكثـر إنصافًا من الدراونة الحاليين حينما اعترف بأن غياب الأشكال الوسيطة أخطر وأكبر مشكلة تعترض نظريته.

بل إن الحفريات المكتشفة لا تدل على التطور التدريجي ومـا هـي إلا أنواع منفصلة ومستقلة بذاتها وليست حلقات بينية "فنمط الأحافير

وعلماء الأحافير: هم العلماء المختصون بدراسة الأحافير ويقرؤون السجل الأحفوري كتاريخ للحياة في العصور السابقة، ويحاول علماء الأحافير الاستفادة من هذه المعلومات بإعادة بناء أشكال هذه الأحافير كيوم كانت حية.

لكن تفسيرهم للسجل الأحفوري يتأثر بالافتراضات المبدئية التي يفسر من خلالها العالم البيانات فإن افترض أحدهم مثلا استحالة التصميم الذكي بناء على عقيدة مادية فإنه سيضع رواية تفسر السجل الأحفوري من خلال قوي مادية عمياء تعمل بلا هدف أو غاية (انظر: تصميم الحياة، ص٨٩).

المكتشفة ليس نمطًا متشعبًا بشكل تدريجي بل إنه يشكل عناقيد مجتمعة تفصل بينها فراغات قد لا يكون ذلك مفاجئًا كونه نفس النمط الذي نجده بين الكائنات الحية اليوم فمثلًا توجد العديد من سلالات الأحصنة لكنها منعزلة بشكل واضح عن الماشية"[١].

كذلك فإنه طبقًا للقواعد التجريبية التي يتشدق بها الدراونة فإنه **لا يمكن التأكد** من صحة السجل الأحفوري عن طريق التجربة وتكرار الظواهر محل البحث، فعلماء الأحافير يلجئون إلى التخمين والافتراضات في تفسير ما كانت تبدو عليه الكائنات في الماضي لذلك يفترضون روايات تاريخية وسيناريوهات وحلول مؤقتة للأحافير التي يتعذر تكرارها، وتؤثر عليهم اتجاهاتهم الفكرية والفلسفية في وضع الرويات التي تفسر السجل الأحفوري.

يقول كيسي لسكين[٢]: إن "الذي يواجه علماء الأحافير البشرية هو عينات الأحافير نفسها فأحافير البشريين بالكاد تكون شظايا عظمية

---

(١) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص١٠٢- ١٠٤.

(٢) كيسي لسكين: من أشهر المدافعين عن نظرية التصميم الذكي ويعرف بمحامي (التصميم الذكي)، يحمل درجة الباكالوريوس والماجستير في علوم الأرض من جامعة كاليفورنيا سان دربيغو حيث توسع في دراسة التطور، كما درس أيضا القانون في جامعة سان دييغو، كما عمل مديرا للأبحاث الجيولوجية في معهد سكريبس لعلوم المحيطات في الفترة (١٩٩٧-٢٠٠٢م)، وعمل في معهد ديسكفري في الفترة (٢٠٠٥-٢٠١٠م)، وفي الفترة من ٢٠١٠وحتى ٢٠١٥م

متفرقة مما يجعل من الصعب استخلاص استنتاجات حاسمة بشأن شكل وسلوك وعلاقات العديد من أصحاب هذه العينات وكما قال عالم الأحافير ستيفن جاي جولد " إن معظم أحافير البشريين ليست سوي أجزاء من أفكاك وبقايا جماجم رغم أنها تستخدم كأساس لحكايات وتكهنات كثيرة لا تكاد تنتهي "[1].

ويؤكد هذا مؤلفا كتاب "تصميم الحياة" إذ ذكرا أن إمكانية الاختبار التجريبي للنظريات العلمية هو الأمر الذي أضفى الحيادية والموضوعية للعلم؛ لأنه يمكن اختبار هذه النظريات بشكل مباشر لنحصل على إثبات أو نفي لها، فمثلا تخبرنا النظريات الفيزيائية أن الأرض تدور في فلك إهليلجي حول الشمس فيمكن للعلماء التأكد وحسم هذه المسألة لأن دوران الأرض حول الشمس متكرر كل عام فيمكن التحقق منها وإن فقدنا كل السجلات التي توثق حركة الأرض

عمل كمنسق أبحاث في مركز العلوم والثقافة بمعهد ديسكفري، وفي نهاية ٢٠١٥م قرر التفرغ للدراسة والبحث في المناظرة الغير منتهية بين التصميم الذكي والداروينية، انظر: الانتواع الخادع، خرافة ملاحظة التغير التطوري على نطاق واسع، كيسي لسكين، ترجمة د.سلام المجدوب، د.محمد القاضي، دار الكاتب بالإسماعيلية، ط١، ٢٠١٦م، ص٥.

(١) العلم وأصل الإنسان، آن جوجر، دوجلاس إكس، كيسي لسكين، ترجمة د.مؤمن الحسن، د.موسي إدريس، دار الكاتب بالإسماعيلية مصر، ط١، ٢٠١٤م، ص٥٣.

في الماضي بخلاف النظريات العلمية الفريدة والتي تمثل الأحافير واحدة منها فالأحافير تمثل أحداثا تاريخية منفردة وغير متكررة بخلاف حركة الكواكب، إذ لا يمكن أن نرجع بعجلة الزمن إلى الوراء مرة أخرى، أو تحدث عملية التطور مرة أخرى لنري فعلا هل السجل الأحفوري يمثل حلقات بينية بين الكائنات مع بعضها البعض؟

إن علم الأحافير علم تاريخي يبحث عن أمارات ليعيد بناء ما يظن أنه قد حدث في الماضي كما يفعل المحقق تماما، ويستقي علم الأحافير هذه الأمارات من الأحافير والتسلسلات الجزيئية لبناء الرواية التاريخية وتكون هذه البيانات ناقصة دوما وغامضة أحيانا وتتيح المجال لعدة تفسيرات[1].

و"بغياب الإثبات التجريبي للآليات المادية التي تعتمد عليها هذه النظرية في التطور السريع فإنها لا تملك الدليل إلا من غياب الدليل الأحفوري الذي وضعت النظرية من أجل تفسيره"[2].

لهذا يؤكد عالم الوراثة مايكل دانتون على افتقار فرضية داروين للأدلة التي تساندها فيقول: "لا يوجد أدنى شك أنه بقدر ما كانت ادعاءات داروين حول التطور الماكروي -أي التطور الكبير- تدعو للقلق فإن مشكلته المركزية تقبع في حقيقة أنه **لم يمتلك برهانا تجريبيا**

---

(١) انظر: تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص٩٩.

(٢) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص١١٧.

مباشرا على وجود أشكال متوسطة واضحة بحيث يكون التطور قد حدث بالفعل على المدي الواسع وأن أيا من الانقسامات الكبيرة للطبيعة قد يحدث تدريجيا من خلال تعاقب الأشكال التحولية ويعود مرة بعد أخرى إلى المشكلة ذاتها معترفا إن تميز أشكال محددة وكونها غير متمازجة مع بعضها البعض من خلال روابط انتقالية غير معدودة هي صعوبة واضحة للغاية"[1].

- كذلك فإن مما يؤخذ على فرضية داروين أن الدراونة حطوا من قيمة الإنسان واعتبروه مجرد حثالة كيميائية على سطح كوكب متوسط الحجم.

"فعندما يلاحظ علماء التطور بعض التشابهات بين الإنسان والحيوان فإنهم لا ينوون بذلك رفع مرتبة الحيوانات بحيث تجد بعض سماتها الآخذة في التطور أكمل تعبير لها في البشر، كلا ليس الأمر كذلك، وإنما يقصدون الحط من قدر الإنسان عبر تجاهل الهبات البديعة وإرجاع حقيقتها إلى عمليات التطور العمياء التي لا تفعل أكثر من تزيين ملكات موجودة مسبقا عند أسلافنا الحيوانية، هذا هو التفسير التطوري للغة والذكاء بدلا من التأكيد على تفرد الإنسان فإنهم يؤكدون على شبهه

(١) التطور نظرية في أزمة، مايكل دانتون، ص٦٩-٧٠.

بالحيوان، ومن وجهة نظر التصميم الذكي تحتاج دراسة أصل الإنسان إلى الاعتناء بكل من تفرد الإنسان وتشابهه مع الحيوان"[١].

– كذلك فإن مما يؤخذ على فرضية داروين أنها لم تفسر كيف أتت الكائنات الحية إلى الوجود أصلا، فالانتخاب الطبيعي قد يتمكن من تفسير بقاء النوع، ولكنه لا يستطيع أن يفسر مجيء النوع أصلًا[٢].

ومن أين جاءت المادة الوراثية الفريدة المميزة لكل نوع من الكائنات الحية خصوصًا الإنسان؟ ولماذا لم تفسر حدوث النظام في عالم الجمادات والنباتات؟

لا يملك الدراونة إجابة حقيقية على هذا السؤال، لهذا يخوضون في مسائل تشتت التركيز بعيدًا عن هذا السؤال، وفي نفس الوقت يتظاهرون بأنهم قد أجابوا السؤال فعلًا! ثم هم يلجئون إلى التلاعب بالمصطلحات بشكل يصرف الانتباه عن نقاط الضعف في النظرية حتى لا يتشكك أحد في مصداقيتها.

"وفي الحقيقة لا يوجد في أي علم من العلوم –بخلاف التطور– الزعم بأن الحوادث العشوائية تستطيع خلق أي شيء معقد ودقيق

---

(١) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص٤٤، ٤٥.

(٢) انظر: لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، ص١٥٩.

وبعمل بكفاءة، لكن نظرية التطور تزعم أن هذا حدث ملايين المرات مع هامش خطأ ضئيل جدا لا يكاد يذكر"[1].

لا يمكن للعشوائية أن توجد الدقة والتعقيد والإحكام في كـائنٍ واحدٍ، فضلًا عن ملايين الأنواع من الكائنات الحية على سطح الأرض، ومهما حاول نقاد حجة النظم والغائية والتصميم التقليل من شأنها تبقى متألقة؛ لأن أي نظام –حتى ولو قل– يحتاج منظمًا قاصدًا لفعله.

(١) التطور الموجه بين العلم والدين، د.هشام عزمي، ص٢٦.

الفصل الرابع: أهم الاعتراضات التي أثارها الدراونة على نظرية التصميم الذكي.

قضايا الإلحاد كالمادية والمصادفة لم تتبدل منذ زمن الإغريق، لكنها اكتسبت الآن بريقًا جديدًا بتقديمها من منظور العلم التجريبي، ومن خلال الدعاية الإعلامية المضللة المتكررة أن المخلوقات أتت للوجود بنفسها أو بسبب المؤثرات العشوائية، وترفض كل تفسير قد يؤدي إلى إمكانية وجود إله مصمم باعتباره يتنافى مع القيم العلمية الصارمة!!، وللمفارقة فإن هذه الوجهة لا تسمح إلا بوجودها فقط، مع ادعاء الاتصاف بالموضوعية، والاستقلال بمعرفة الحقيقة.

لذلك فإن حركة التصميم الذكي ينظر إليها في الغرب بكثير من الشك والريبة وتواجه نقدًا شرسًا وخاصة من الدراونة الذين يتبنون توجهًا معارضًا تمامًا في تفسير نشأة الكون والحياة.

الاعتراض الأول: **التصميم الذكي يترتب عليه كثير من المشاكل**.

يرى الدراونة أن الانتخاب الطبيعي هو الحل الفعال الوحيد الذي تم طرحه حتى الآن كبديل للصُدفة المُقترحة منذ الأزل، وأن "التصميم الذكي يعاني من نفس مشاكل فرضيّة الصدفة، ببساطة هو ليس حلًا معقولًا لمشكلة اللا احتمالية العالية، فكلما علا مستوى اللا احتمالية، أصبحت نظرية التصميم أقل احتمالية، بل إنه سيقوم بمضاعفة

المشكلة من الأساس، ومرة أخرى المشكلة التي يثيرها المصمم نفسه هي أكبر، وكيف وجد أساسًا[1].

"فالتصميم ليس بديلًا بالأساس لأنه يؤدي لإثارة مشكلة أكبر من التي يحاول حلها؛ من الذي خلق الخالق؟ الصدفة والتصميم حلان فاشلان لتلك اللا احتمالية المنطقية، لأن إحداهما هي المشكلة، والأخر مجرد ارتداد لها"[2].

ويمكن الرد بأن مشكلة الدراونة هي نزعتهم الحسية المادية التي تمنعهم من تصور حقيقة الموجودات، وتجعل أحكامهم دائمًا أحكامًا وهمية محصورة في عالم الحس والمادة، وكل ما لا يستطيع الحس تخيله، فهو ممتنع الوجود عندهم.

فالموجود -**بحسب الافتراض العقلي**- **إمّا واجب الوجود**، **وإمّا ممكن الوجود**.

وواجب الوجود وجوده ضروريُ وذاتي ولا يحتاج إلى غيره ليعطيه الوجود، وبالطبع يكون هذا الموجود أزليًا أبديًا.

وأما ممكن الوجود فهو الشيء الذي يكون الوجود عارضًا على ذاته، لذلك فلا بد له من مُحْدثٍ يخرجه من حيز العدم إلى حيز الوجود، وهذا أمر مشاهد من بدهيات العقول.

---

(١) وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ص١٢١.

(٢) وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ص١٢١، ١٢٢

كذلك فإنه يستحيل أن تكون الموجودات كلها ممكنه الوجود، لأن ممكن الوجود محتاج لعله، والتسلسل في العلل محال، فلابد أن تنتهي سلسلة العلل إلى موجود لا يكون ممكن الوجود، وليس محتاجًا إلى عله، وهو واجب الوجود.

وإذا ذكرنا ذلك فنقول: إن نظرية التصميم الذكي هي التي يمكن بها تفسير النظم الموجود في الكون، أما الانتخاب الطبيعي فهو الذي يعاني من نفس فرضية الصدفة والعشوائية.

فطبقًا لأحكام العقل الضرورية يستحيل خروج الممكن بنفسه من العدم إلى الوجود، فإنه محتاج إلى غيره، وهذا أمر يقر به جميع العقلاء بما فيهم ريتشارد دوكنز صاحب الاعتراض.

- أما قول دوكنز: " كلما علا مستوى اللا احتمالية، أصبحت نظرية التصميم أقل احتمالية"[1] فيقصد منها أنه كلما ازداد تعقيد النظام الطبيعي، كان المصمم أكثر تعقيدًا، وأصعب تحققًا! ولنا أن نتسائل ما هي المشكلة في ذلك، ولماذا أصعب تحققًا؟ بل الضرورة العقلية تقتضي ذلك، فصانع الغواصات أعظم تفكيرًا من صانع السفن، وصانع السفن أعظم تفكيرًا من صانع القوارب، وهذا عين ما يدعيه أنصار التصميم الذكي فخالق الكون العظيم يتمتع بقدرة مطلقة غير متناهية.

---

(١) وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ص١٢١.

- أما قول دوكنز أن التصميم يؤدي لإثارة مشكلة أكبر من التي يحاول حلها، وهي من الذي خلق الخالق؟

وهذا السؤال كما يصفه اللاهوتي المعاصر إدكار أندروز" هو السؤال المفضل للمتشككين والذي تم طرحه مرات كثيرة من أشخاص مثل ريتشارد دوكينز ورفاقه من الملحدين الجدد، وهم يستخدمونه مثل السيف الذي يستلونه من الغمد المزدوج للعلم والفلسفة"(١).

أما الجواب عن هذا السؤال فقد قسمنا الموجود إلى ممكن الوجود، وواجب الوجود الذي وجوده ذاتي، والذاتيّ لا يُعَلّل، فلا معنى للسؤال عمن أوجده، كما أنه لا معنى للسؤال عن السبب في كون البياض أبيض؛ لأنّه أبيض بذاته.

فها هنا وجودين كل منهما يخالف الآخر تمام المخالفة؛ الوجود الأول: يمثله واجب الوجود الذي هو علة لكل ما سواه، وليس معلولا لعلة أخرى، بل عنده تنتهي سلسلة العلل، والوجود الثاني: الوجود الممكن الذي هو بحاجة إلى علة لكي يخرج من العدم إلى الوجود، فمن الخطأ جعل الوجودين ضمن فئة واحدة.

يقول ر. س. سبرويل: " لكون الله أبديا فهو لذلك ليس نتيجة، وحيث إنه ليس نتيجة فإنه لا يستلزم علة إنه بلا علة، من الضروري

---

(١) من خلق الله؟ البحث في نظرية كل شيء، أدكار أندروز، ترجمة هدى بهيج، مركز مورغان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤م، ص١٣.

ملاحظة الاختلاف بين الكائن الأبدي الذي بلا علة الموجود بذاته، وبين غيره"[١].

فالمغالطة هنا خلطهم بين " أن لكل موجود سبب" وبين " أن لكل موجود حادث سبب"، فالحادث هو الذي يحتاج إلى سبب، والله سبحانه وتعالى ليس بحادث حتى يحتاج إلى سبب يمده بالحدوث، فالله أزلي أبدي، لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم.

فالقائلون بضرورة وجود خالق للخالق يضعون النقاط في غير أماكنها، فيخلطون بين علم الطبيعة وعلم ما وراء الطبيعة، فالسبب والنتيجة يتحكمان بالفعل في المجال الفيزيائي وفي العالم الطبيعي، فكل من العالم والحياة الطبيعية يكون مستحيلا دون قانون السبب والنتيجة، لكن يتعطل هذا القانون إذا خرجنا عن حيز العالم المادي، فلكل عالم ما يخصه من القوانين، ومن الجهل تنزيل قوانين كل منهما على الآخر[٢].

فالقوانين التي تطبق على المخلوق لا تصلح لأن تطبق على الخالق، لأن خلقه للعالم والكون يدل على أنه ليس من جنس هذا العالم،

---

(١) لماذا أؤمن: إجابات منطقية عن الإيمان، بول ليتل، ترجمة وجدي وهبه، دار الثقافة بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٩.

(٢) انظر: من خلق الله؟ البحث في نظرية كل شيء، أدكار أندروز، ص٢٩.

ولا يصدق عليه ما يصدق على العالم الذي خلقه، ولو كان من جنس العالم لصح أن الشي يخلق نفسه وهذا مستحيل[١].

وفي هذا الأمر دار حوار بين الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى وأحد الملاحدة، قال فيه الشيخ الغزالي:

"دار بيني وبين أحد الملاحدة جدال طويل، مَلكتُ فيه نفسي، وأَطَلتُ صبري حتى أَلقفَ آخر ما في جعبته مِن إفك، وأدَفعَ بالحجةِ الساطعةِ مَا يُوردُ من شبهات .

قال: إذا كان الله قد خلق العالم، فمن خلق الله؟!

قلت له: كأنك بهذا السؤال، أو بهذا الاعتراض تؤكد أنه لابد لكل شيء من خالق!!

قال: لا تلفني في متاهات، أجب عن سؤالي!

قلت له: لا لف ولا دوران، إنك ترى أن العالم ليس له خالق، أي: إنَّ وجوده مِن ذاته دون حاجة إلى مُوجِد، فلماذا تقبل القول بأن هذا العالم موجود من ذاته أزلاً، وتستغرب قول أهل الدين: إنَّ الله الذي خلق العالم ليس لوجوده أول؟!

---

(١) انظر: دراسات في العقيدة الإسلامية والأخلاق، تأليف لجنة من قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر، للفرقة الأولى للكليات المستحدثة، المطابع الأميرية، ٢٠١٥م، ص٤٢.

إنها قضية واحدة، فلـم تصـدق نفسـك حين تقررهـا، وتكـذب غيرك حين يقررها؟!، وإذا كنت ترى أن إلهًا ليس له خالق خرافة؛ فعالم ليس له خالق خرافة كذلك، وفق المنطق الذي تسير عليه .!

قال: إننا نعيش في هـذا العـالم ونحس وجـوده، فـلا نسـتطيع أن ننكره.قلت له: ومن طالبك بإنكار وجود العالم؟!

إننا عندما نركب عربـة أو بـاخرة أو طـائرة تنطلـق بنـا في طريـق رهيب، فتساؤلنا ليس في وجود العربة، وإنما هو: هل تسير وحـدها؟ أم يسيرها قائد بصير..!

ومن ثَمَّ فإنني أعود إلى سؤالك الأول؛ لأقـول لـك: إنـه مـردود عليك، فأنا وأنت معترفان بوجود قائم، لا مجال لإنكاره، تزعم أنت أنه لا أول له بالنسبة إلى المادة، وأرى أنا أنه لا أول له بالنسبة إلى خالقها.

فإذا أردت أن تسخر من وجود لا أول له، فاسخر من نفسك قبل أن تسخر من المتدينين..."[1].

فالملاحدة يقرون بأن الكون أزلي، وفي نفس الوقـت ينكـرون أن يكون الله سبحانه وتعالى أزليًا، فليس الخلاف في إثبـات أزليـة موجـود، وإنما الخلاف في طبيعة هذا الموجود الأزلي.

(١) قذائف الحق، الشيخ محمد الغزالي دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩١م، ص١٩٧، ١٩٨.

وتغافلوا عن دلالات حدوث هذا الكون، وآثار التصميم والإتقان التي تشير بوضوح إلى الخالق العظيم.

وقد روي عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قوله: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته.

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ثم ليتفل عن يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من الشيطان)[1].

الاعتراض الثاني: **وجود عيوب في تصميم وتركيب الكائنات الحية**.

تعتمد أكثر أدلة الدراونة على الزعم بوجود عيوب في تصميم وتركيب الكائنات الحية، مما لا يتفق مع كونها من خلق إله حكيم عليم خبير.

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه (باب صفة إبليس وجنوده برقم ٣١٢٧) ومسلم في صحيحه (بَابُ بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الْإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا برقم ٢٢٥)، والنسائي في الكبرى (باب الْوَسْوَسَةُ وَذِكْرُ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِ النَّاقِلِينَ لِخَبَرِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي ذَلِكَ برقم ٩١٧٦).

ومن هذه الأدلة وجود الأعضاء الأثرية الضامرة، حيث يتم طرح هذه الأدلـة عـلى أنهـا تمثـل البرهـان عـلى كـون الخلـق لا يتصـف بالدقـة والإحكام والكمال، وبالتالي فهـو أقـرب إلى أن يكـون نتاجًـا للعشـوائية المتمثلة في نظرية التطور عن أن يكون من صـنع الخـالق الحكـيم العلـيم القدير[١].

ومن ذلك استخدام الدراونة لإصبع الباندا الزائـد -مـن وجهـة نظـرهم- كـمادة للسـخرية مـن دليـل التصـميم والـنظم والغائيـة في المخلوقات، مستدلين بهذا على التطـور العشـوائي في إيجـاد المخلوقـات، ووجود أعضاء ضامرة بلا وظيفة، مما ينفـي التصـميم الـذكي والكـمال والإحكام في وجودها، وينفي تدخل مهندس مختص في تكوينها.

يقول الداروينى ريتشارد دوكينز: "ستيفن جولد في بحثه الممتاز عن "إبهام الباندا" يوضح الرأي بأن التطور يمكن دعمه بصورة أقوى بأدلة من أوجه العيب الكاشفة هذه أكثر مما بأدلة من أوجه الكمال"[٢].

وكذلك يقول التطوري المشـهور دوجـلاس فوتـويما[١]: " العـالم الطبيعي ملئ بالسمات غير المفيدة، والتصميم غير المناسـب، والصـناعة الرديئة ...

(١) انظر: التطور الموجه بين العلم والدين، د.هشام عزمي، ص١٦٤.
(٢) الجديد في الانتخاب الطبيعي، ريتشارد دوكينز، ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م، ص١٣٢.

نجد أن عظام طائر الدودو الذي لا يطير والبطريق هي أيضًا مجوفة، وكأنها معدة للطيران وأن (حيوان) الخلد وسمندر الكهف لهما أيضًا عدسات وشبكية لا وظيفة لهما، ولكل كائن مثل هذه السمات من الأعضاء التي لا وظيفة لها والتي يمكن أن تكون فقط بقايا من تكيفات في الماضي، لماذا يوجد لدينا ما يسمى بضروس العقل، إلا إذا كان فكنا قد أصبح أصغر، حتى إن أسنان أسلافنا لم تعد تلائمنا؟ ولماذا لا بد لنا، مثل الرئيسيات الأخرى لكن تختلف عن أغلب الفقاريات الأخرى، نحتاج لفيتامين ج في وجباتنا، إذا لم يكن ذلك نابعًا من أن أسلافنا حصلوا على ما يكفيهم من فيتامين ج في وجباتهم من الفاكهة؟ فهل نجد هنا دليلاً على تصميم عاقل؟"[2].

ويمكن أن نتسائل هل إذا جهلنا وظيفة أحد أعضاء الجسم، فإنه يقتضي أنه عديم الفائدة والوظيفة، وبالتالي يدل على أنه نشأ عشوائيًا من الأصل المشترك كما يدعي الدراونة.

---

(١) دوجلاس فوتويما: حاصل على دكتوراه الفلسفة عام ١٩٦٩م قسم البيئة والتطور جامعة ميتشجان، وهو رئيس جمعية دراسة التطور، ورئيس الجمعية الأمريكية للمنادين بالمذهب الطبيعي، ومحرر مجلة التطور، وانتخب حديثًا لعضوية "الأكاديمية الوطنية للعلوم" بالولايات المتحدة الأمريكية. انظر: العلم قيد المحاكمة "قضية التطور"، دوجلاس فوتويما، ترجمة أحمد فوزي، مراجعة فتح الله الشيخ، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٢م، ص٤٣٦.

(٢) العلم قيد المحاكمة "قضية التطور"، دوجلاس فوتويما، ص٣١٨، ٣١٩.

بـل الملاحـظ أن تقـدم العلـم يكشـف باسـتمرار هـذه وظـائف الأعضاء التي كنا نجهلها في الماضي أو ما زلنا نجهلها، بل لو استجاب العلماء للأحكام التي يصدرها التطوريون بخصوص وظائف الأعضاء لما سعوا لمعرفة هذه الوظائف ولتوقف تقدم علم الأحياء بالكامل، يقول البروفيسور ديفيد منتون: "مما لا شك فيه أن عقيدة التطوريين فيما يتعلق بالأعضاء الأثرية قد تدخلت بالسلب في تقدم مسار العلـم التجريبي، فقط عندما تجاهل العلماء دعاوى التطوريين صار لديهم القدرة على تعيين وظائف ما كانت يومًا ما أعضاء أثرية؛ مثل الغـدة الجـار درقيـة والغـدة التيموسية والجسم الصنوبري والغدة النخامية والغدة الكظرية"[1].

يقـول الشـيخ حسـين الجسرـ رحمـه الله عـن الاسـتدلال بالأعضاء الأثرية كدليل على وقوع التطور: "فـاعلموا أن الـدليل متى طرأ عليه الاحتمال، ولو كان احتمالاً بعيدًا، سقط بـه الاسـتدلال؛ أعنـي الاستدلال على اليقين، وهذا حكم لا ينكر عند كل العقلاء، ولا أخـال أنكم تنكرونه. إذا تقرر ذلك، فاعلموا أن استدلالكم بالأعضاء الأثرية على النشوء بأنها تدل على تغير الأنواع فتوافق مذهب النشوء ولا توافق مذهب الخلق هو استدلال لا نتيجة لـه إلا الظـن، ولـيس مـن اليقـين في

---

(١) التطور الموجه بين العلم والدين، د.هشام عزمي ص١٦٨، نقلًا عن:
David N. Menton, The plantaris and the question of vestigial muscles in man, CEN Technical Journal 14(2) 2000.

شيء، لطروء الاحتمال فيه. إذ لقائل أن يقول: ما المانع أن تلك الأعضاء الأثرية لها فائدة وفيها حكمة قد خفيت عليكم كما خفي عليكم فوائد أشياء كثيرة توجد في أجسام النباتات والحيوانات كما يظهر من مراجعة كتب الباثولوجية؟ مثلاً هذه المادة الملونة في جسد الحيوان مجهولة الفائدة في أكثر أجزاء الجسد إلا في المقلة، فالحكمة منها في المقلة امتصاص أشعة النور الزائدة، وأمثال ذلك كثير. فأنتم لم تحيطوا علمًا بفائدة كل كائن حتى تجزموا بأن تلك الأعضاء الأثرية لا فائدة لها البتة"[1].

لذلك فالصواب أن يقال أن هذه الأعضاء لها وظائف لا نعلمها بعد، وأن تقدم العلم باستمرار يكشف ما كان خافيًا علينا من حكمة الباري في خلقه، ويظهر ضيق أفق من يدعي وجود عيوب في تصميم الكائنات الحية، كما أن نظرية التصميم الذكي تهدف إلى إثبات المصمم الذكي في الكون وليس غرضها إثبات التصميم الأمثل كما يراه المعترض.

وفي المقابل فإن احتجاج الدراونة بالأعضاء الضامرة أساسه الوهم وأركانه الفروض، ويشوبه الاضطراب والضعف والتكلف في الاستنباط والقفز على الحقائق، وليس لديهم حجة علمية أو برهان علمي في الحقيقة سوى الظن والافتراض والتخمين.

---

(١) الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية، الشيخ حسين الجسر، تقديم عصمت نصار، دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني ببيروت،٢٠١٢م، ص٣٠٥.

على أننا لو بحثنا في مبادئ التصميم لدى الشركات الكبرى، نجد أنهم يضعون في الاعتبار عدة أمور أثناء التصميم، فمن يريد تصميم جهاز (لابتوب) مثلًا فإنه لا يركز على أن تكون الشاشة أفضل الشاشات، بل على أن تكون أجزاء اللابتوب متكاملة يخدم بعضها بعضًا، فيفكر المصمم في حجمه وكيف يكون مناسبًا، وكذلك في المادة التي يصنع منها بأن تكون خفيفة وغير قابلة للاشتعال وتتحمل الحرارة، إضافة إلى أنه ينظر نظرة مستقبلية، فيفكر في سهولة صيانته، وكذلك يفكر في سعر الجهاز، وكيف يمكن تسويقه، والشكل الجمالي...

وعلى هذا فكل تصميم ذكي يحصل عندما تكون جميع العناصر متكاملة يخدم بعضها بعضًا، لا بأن تكون الشاشة أكبر أو أفضل، والأمر نفسه فيما يخص الإنسان، فجسم الإنسان مصمم بحيث يكمل بعضه بعضًا، فتراه كالأسرة الواحدة، إذا اشتكى منه جزء فإن بقية الأجزاء تتفاعل معه، فكلما كان الفعل متناسق الأجزاء مع الهدف الذي ابتكر لأجله، كان فعلًا محكمًا.

بل إن ريتشارد دوكينز يقول" قد نقول عن جسد حي بأنه مصمم جيدًا إن كانت صفاته تدلنا على احتمال أن مهندسًا ذكيا وعالما قد وضعها لتحقيق غاية معقولة ما، مثل الطيران والسباحة والرؤية، وليس بالضرورة أن نفترض بأن تصميم الجسم أو العضو أفضل ما يمكن أن ينجزه المهندس. ولكن يمكن لأيّ مهندس التعرف على أن جسمًا ما

مصمم أو حتى مصمم بالحد الأدنى لتحقيق غاية ويمكنه تقدير ماهي هذه الغاية بمجرد النظر لبنية هذا الجسم[١].

لذلك فإن "من أغرب الأمور الواقعة من أتباع فرضية التطور هو أنهم يبالغون جدًا في قيمة دليل من الأدلة ويجعلونه أصلا في بناء فرضيتهم، ثم إذا اكتشفوا أنه لم يعد صالحًا للاعتماد عليه انتقلوا إلى غيره من غير تقديم مسوغ ولا ذكر تفسير، ومن أكبر الشواهد على ذلك: موقفهم من دليل الأحافير، فإن هذا الدليل كان من الأدلة الأساسية لديهم، ويعدونه من الأدلة التي لا تقبل الجدل، ولكن ثبت مع تطور الزمن أنه لا يدل على فرضيتهم، بل أضحى يدل على نقيضها، فطفق كثير من التطوريين ينتقلون عنه إلى غيره من غير أن يقدموا للناس تفسيرًا لانتقالهم ذلك بعد أن كان أقوى ما يعتمدون عليه!"[٢].

الاعتراض الثالث: **التصميم الذكي مظهر خادع لترويج نظرية الخَلْقية**.

يرى الدراونة أن نظرية التصميم الذكي دين متنكر في صورة علم (خلقوية متنكرة)، لذلك فهي نظرية غير علمية مدفوعة بعامل الدين، تم تطويرها من قبل مجموعة من الخَلْقيين الأمريكيين للتحايل على

---

(١) الداروينية الجديدة "صانع الساعات الأعمى"، ريتشارد دوكنز ص ٢١، وانظر: صندوق داروين الأسود، د. مايكل بيهي، ص٢٣٣.

(٢) انظر: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د.سلطان العميري، ١/ ٥٣١، وانظر: العلم وأصل الإنسان، آن جوجر وآخرون، ص٧٩.

القانون الأمريكي الذي يمنع تدريس الخَلْقية في المدارس الحكومية انطلاقاً من قانون الفصل بين الكنيسة والدولة، استنادًا إلى التعديل الأول من الدستور الأمريكي، والذي ينص على أن الكونجرس لا يعتمد القوانين بناء على أية أسس دينية.

لذا فإن التصميم الذكي ليس إلا إعادة صياغة للخلقوية، إلا أن أنصاره قاموا باستبدال المصطلحات الدينية بمصطلحات علمانية[1].

كما أن المعارضة لنظرية التصميم الذكي تأتي من جهات رسمية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، فعلى سبيل المثال: صرحت الأكاديمية الوطنية للعلوم بالولايات المتحدة بأن التصميم الذكي ليس علمًا، كونه يفترض أصلًا خارقًا للطبيعة في نشأة الحياة، واتهم النظرية بأنها لا تقترح أية فرضيات خاصة بها، ولا يمكن إخضاعها للتجربة، كما أنه لا يمكن التنبؤ منها بشيء![2].

في المقابل يرى مُنظِّرو التصميم أن هذه التصريحات شكّلت درجة عالية من التحيز لنظرية التطور، والتجنّي في المقابل على نظرية التصميم،

---

(١) انظر إعادة المحاكمة:: جون بول، د. مايكل بيهي، ص ١٣، وما بعدها.

(٢) انظر: **National Academy of Sciences, (1999). Science and Creationism: A View from the National Academy of Sciences, Second Edition**

نقلًا عن: اتجاهات في تفسير التنوع الحيوي، د. منى أبو بكر زيتون، مقال منشور على منصة مقال كلاود بتاريخ ٠٤ أبريل ٢٠١٧م، **https://www.makalcloud.com/post/dx390oivo**

وأن نظريـة التصـميم لهـا فرضـياتها القابلـة للاختبـار؛ وأهمهـا التعقيـد المتخصص، والتعقيد غير القابل للاختزال في الأنظمة الكونية والحيوية.

يبين هذا فيلسوف العلوم د.ستيفن ماير حيث يقـول: "هنالـك الكثير ممن يعتبرون التصـميم الـذكي ديـن متنكـر في صـورة علـم وهـم بالطبع يشيرون إلى آثار النظرية الواضحة التي تدعم العقيدة الالوهيـة، كتبرير لوصمهم النظرية بالدينية.

ولكن هذه الانتقادات تخلط بين آثار نظرية التصميم الذكي وبين أدلتها الموضوعية، فلا ضـير في أن يكـون لنظريـة التصـمي الـذكي آثـار مشيرة إلى وجود إله، ولك هذا لا يعطي أسسا تسمح برفضهًا"[1].

ويقول ستيفن ماير: "لا زال الكثيرون يرفضـون وضـع فرضـية التصميم في عين الاعتبار، لكونها غير مؤهلة كفرضـية علميـة، وهـؤلاء النقاد يؤكدون وجود مبدأ فوق الأدلة هو ... منهج المذهب الطبيعي أو المادية المنهجية.

فمنهجيــة المــذهب الطبيعــي تــنص عــلى أن فرضــية أو نظريــة أوتصميم، لكي تعتبر علمية لا بد أن توظف آليات وعناصر مادية فقط

---

(١) التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية، ستيفن ماير ص١١٠، وانظر: إعادة المحاكمة: القصة الخفية لقضية دوڤر، د. مايكل بيهي، ص٧٦، ٧٨.

في تفسيرها، وبناء على هذا التعريف، يـدعي النقـاد أن نظريـة التصـميم الذكي غير علمية؛ حيث لا ينطبق عليها شروط هذا التعريف"[1].

ويقرر ستيفن ماير أن "النظريات العلمية يجب أن تقيم بقـدرتها على تفسير الأدلة، وليس بناء على احتوائها على تضـمينات فلسـفية غـير مرغوبة، ومن يدعي غير ذلك ينبذ المنطق ويتجاهل شهادة ناريخ العلم الواضحة...

واليوم تواجه نظرية التصميم الذكي انحيازاً ميتافيزيقيًا مشابهًا، بالرغم من ذلك، فيجب أن تحاكم النظريـة إلى الأدلـة، ولـيس بنـاء عـلى انحيازاتنا الفلسفية وقلقنا حول تضميناتها الدينية المحتملة"[2].

ويتسائل اللاهوتي فرانك تورِك: لماذا تُعتبَر الاستنتاجات الخَلْقية فورًا متحيزة وتُعتبَر الاستنتاجات الداروينية تلقائيًا موضوعية؟

ويجيب عن ذلك فيقـول:" لأن الأغلبيـة لا تـدرك أن الملحـدين لديهم منظور فلسـفي للحيـاة مـثلهم مثـل الخَلْقيـين، وكـما نـرى منظـور الملحدين الفلسفي ليس محايدًا وهو يتطلب فعليًا قدرًا من الإيـمان يزيـد عن إيمان الخلقيين، وكما ذكرنا آنفًا، إن التحيزات الفلسفية أو الدينية تمنع المرء مـن تفسـير الأدلـة تفسـيرًا صـحيحًا، عندئـذٍ يحـق لنـا أن نشـك في استنتاجاته، وفي الموضوع الذي نحن بصدده، يبدو أن الداروينيين هـم

---

(١) انظر: التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية، ستيفن ماير، ص١٠٦.

(٢) انظر: التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية، ص١١٠، ١١١.

أكثر من يواجهون تلك المشكلة، إلا أن النقطة الرئيسية هي أنه حتى إن كان المرء مدفوعًا بالدين أو الفلسفة، يمكنه تصحيح استنتاجاته بنظرة مخلصة للأدلة، فالعلماء على الجانبين قد يصعب عليهم أن يكونوا محايدين، ولكنهم إن كانوا أمناء، يمكنهم أن يكونوا موضوعيين"[١].

أما عن اتهام أنصار نظرية التصميم الذكي، بأنهم خلقويون، فإن اللافت للنظر أن المنضمين لحركة التصميم الذكي بعضهم دينيون مع اختلاف دياناتهم، وبعضهم لا أدريون؛ وأشهرهم البروفيسور ديفيد برلنسكي، وكان من أشهر المنضمين إلى حركة التصميم الذكي من بدايتها البروفيسور دين كينيون أحد المشاركين في وضع نموذج شهير لتفسير نشأة البروتين في بدء الخلق من خلال الأُلفة الكيميائية للأحماض الأمينية، بعد أن تراجع عن نموذجه واعترف بعدم وجود قيمة تفسيرية له، وكذلك البروفيسور أنطوني فلو، الذي قضى عمره في الإلحاد، ثم عاد عنه وصنّف كتاب "هناك إله" أعلن فيه تراجعه عن إلحاده، وانضم لحركة التصميم الذكي.

وبهذا أجاب المناصرون لنظرية التصميم الذكي على هذا الاعتراض حيث إن العلم وصحة الفرضيات والنظريات لا يقاس بالانحيازات الفلسفية وبعدد العلماء المؤيدين له أو المعارضين – وإنما بالأدلة التي تحقيق أهداف العلم وأهمها التفسير.

---

(١) لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، نورمان ل جايسلر، فرانك تورِك، ص١٧٥.

ونظرية التصميم الذكي لها القدرة على تفسير نشأة الكون واستمراره، بعكس نظرية التطور التي تعجز عن تفسير كثير من الظواهر، ومع ذلك يحتكر أتباعها مفهوم العلم ويقصرونه على المنهج المادي فقط، ويرهبون خصومهم باللاعلمية والعمالة للأديان، وأنهم يرددون ما تقوله أو تمليه الكتب المقدسه والمعتقدات الدينية.

الاعتراض الرابع: أن الشواهد العلمية الهائلة التي تؤيد نظرية التطور تجعلها حقيقة علمية مفروغ منها لا يسوغ إنكارها.

يتهم الدراونة أنصار نظرية التصميم الذكي أنهم لم ينتبهوا إلى القيمة العلمية لنظرية التطور، التي يؤيدها آلاف الأدلة من الحفريات والجينات والأدلة العملية، وأنه قد يحصل بعض التعديلات على بعض الجوانب الفرعية في النظرية وفقًا للاكتشافات العلمية، لكن هذا لا يجعلها فاقدة للاعتبار، لأن النظريات العلمية دائما ما تظل قابلة للتعديل.

لكن تصريحات كثير من العلماء عن الداروينية تخالف ذلك حيث إن التطور ليست كالنظريات العلمية التي يمكن التحقق منها عن طريق تكرارها وإخضاعها للتجربة مرة أخرى، بل إنها تفتقر إلى الأدلة التي تساندها.

عبر عن هذا فيلسوف العلم كارل بوب بأن النظرية الداروينية لم تكن جديرة بالثقة، بل كانت مجرد تخمينات اعتباطية، وأن أي نظرية أخرى ستكون أقدر على تفسير نفس الظاهرة بشكل أشمل وأكثر إقناعًا.

ويقول بحزم: "خلاصة ما توصلت إليه أن مفهوم التطور بواسطة الانتخاب الطبيعي ليس نظرية علمية قابلة للاختبار، بل هو برنامج بحثي ميتافيزيقي، أي إطار محتمل لنظريات قابلة للاختبار"(١).

ويقول آلان لينتون أستاذ علم الجراثيم بجامعة برينستون البريطانية: " لا يوجد ادعاء في الأدبيات العلمية أن نوعا من الكائنات الحية قد تطور إلى آخر، البكتريا وهي أبسط صور الحياة المستقلة تعتبر مثالية لهذه الدراسة فهي تنتج أجيالا كل ٢٠ إلى ٣٠ دقيقة وتمثل مجاميع كل ١٨ ساعة ولكن طوال ١٥٠ عاما من علم الجراثيم لا يوجد دليل واحد أن نوعا من البكتريا قد تغير إلى آخر وبما أنه لا يوجد دليل على تغيرات الأنواع من أبسط صور الحياة وحيدة الخلية فإنه ليس من العجب حينئذ **عدم وجود دليل على التطور من الكائنات الحية بدائية النواة** إلى حقيقية النواة ناهيك عن جميع الكائنات الحية الأعلى متعددة الخلايا".

ويقول أستاذ الفيزياء بجامعة كيل بإنجلترا دونالد ماكاي: " بدأت الداروينية كنظرية بيولوجية رأي فيها الكثيرون بديلا عن الإله بالنسبة لعالم الأحياء، ثم تساءلوا ولماذا ليس في باقي المجالات؟ ومن ثم بعد أن كانت فرضية علمية بيولوجية، أصبحت مبدأ غيبيا إلحاديا يعم الكون كله ويرفع عن الإنسان أي التزامات دينية، بذلك أصبحت

---

(١) التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا؟، د.عرفان يلماز، ص٢٣٤.

الداروينية أو التطورية فلسفة ضد الدين، بل صارت كإله متجسد يعتبروه مريدوه قوة حقيقية في الكون"[1].

وبعد هذا يقال إن نظرية التطور أصبحت حقيقة علمية غير قابلة للجدل والنقاش، فوجود عالم تجريبي واحد ينتقد نظرية التطور من منطلقات وأسس علمية يقضي على ادعاء عدم وجود جدل مهم ضمن المجتمع العلمي حول صلاحية نظرية التطور[2].

أما عن القيمة العلمية للتطور في مقابل نظرية التصميم الذكي:

فوفقًا للمنهج التجريبي، فإن نظرية التطور لا تُحقق أيًا من أهداف العلم الثلاثة: التفسير والتنبؤ والضبط!

فالقيمة التفسيرية لنظرية التطور مشكوك فيها بشكل كبير؛ فالطفرة هي البديل الذي أوجده التطوريون لآلية الانتخاب الطبيعي مدّعين قدرتها عبر زمانية طويلة على توليد مليارات المعلومات الجينية التي تولدت عنها مليارات الأنواع الحية والمنقرضة، رغم عدم نفعيتها وعدم ثبوت قدرتها على توليد معلومات جينية.

والتطور ليس غائيًا، ومن ثم لا يمكن التنبؤ من نظرية التطور بشيء، فالتنبؤ يتعلق بالاستفادة من المعلومات المتجمعة من القوانين

---

(١) خرافة الإلحاد، د.عمرو شريف، ص٨٦.

(٢) انظر: معركة التطور، د.خالد سعيد، ص٤١.

والمبادئ والنظريات في تصور ما يمكن أن يحدث في مواقف مستقبلية متعلقة.

والتطور نظرية تفترض أنها تقدم تفسيرًا لكيفية نشوء الأنواع الحية، وإضافة إلى أنها تفتقد لتقديم آلية مناسبة لنشوء المعلومات الوراثية، فهي علاوة على ذلك ليست لها أدنى قيمة تنبؤية، فلا يستطيع أحد في ظل نظرية التطور أن يتنبأ بنشوء نوع جديد من نوع آخر، بل لا يمكن حتى أن يتنبأ تنبؤًا له شواهد حقيقية تدعمه بنشوء عضو جديد أو زوال عضو مما يدعيه التطوريون أثريًا بلا وظيفة.

وقطعًا فإن نظرية لا تفسر ولا تملك قدرة تنبؤية لا يمكن أن تضبط شيئًا، إن تحديد أسباب أي ظاهرة وإمكانية توقع حدوث أشياء متعلقة بالظاهرة قد يؤديان إلى التحكم في الظاهرة، وكلما ازدادت قدرة الإنسان على تفسير الظاهرة والتنبؤ بها كلما أمكنه التحكم فيها، وهذا ما لا تفعله نظرية التطور[1].

أما نظرية التصميم الذكي فهي تضع فرضيات متناسقة، تتعلق باقتراحات محددة، كما أنها تشكل إضافة علمية وتهذيبًا للنظريات السابقة عليها في المجال نفسه، ولها قيمة تفسيرية وقيمة تنبؤية، وفرضياتها قابلة

(١) انظر: اتجاهات في تفسير التنوع الحيوي، د. منى أبو بكر زيتون، مقال منشور على منصة مقال كلاود بتاريخ ٠٤ أبريل ٢٠١٧م، https://www.makalcloud.com/post/dx390oivo

للاختبار، وقابلة للتخطئة، وقابلة للتعديل والتصحيح في ضوء نتائج التجارب، فهي مفتوحة أمام الفحص التجريبي.

فنظرية التصميم الذكي تضع فرضيات علمية لتفسير نشأة الأنواع الحية، وتتبنى توجهًا مناهضًا للدور العشوائي اللا غائي الذي تعطيه نظرية التطور للطبيعة كأداة فاعلة في الخلق، وتناهض دعاوى التطوريين عن وجود عيوب في تصميم الأنواع الحية، ولا تعترف بوجود أعضاء أثرية بلا وظيفة أو غيّرت وظيفتها عبر المشوار التطوري، بل على النقيض ترى نظرية التصميم الذكي في الأنظمة الحيوية تعقيدات وظيفية متخصصة وتعقيدات غير قابلة للاختزال، تعجز الرؤية التطورية التدرجية التراكمية عن تفسيرها.

تفسر نظرية التصميم الذكي خلق الأنواع الحية بأنه تم من قِبل مصمم ذكي، تتعدى النظرية تقديم تفسير لنشوء الأنواع الحية، وهي الحدود التي تتناولها نظرية التطور؛ إذ تقدم التصميم الذكي تفسيرًا لنشأة الكون ككل، يُستدل عليه من خلال التوافق الدقيق للكون.

كما أن النظرية تحقق أهداف العلم الثلاثة (التفسير- التنبؤ- الضبط)؛ فهي: تقدم تفسيرًا متسقًا غير متعاكس للضبط الدقيق في الكون، وللدقة التي خُلِقت بها أجسام الأنواع الحية، وللقدرة على التكيف الموجودة في المناطق التنظيمية من جيناتها. ويمكن من خلالها التنبؤ بالكثير في ضوء فرضياتها مثل توسع أو انكماش الكون، ووصول

كائن ما للشيخوخة أو الإصابة بمرض. كما يمكن أن نضبط الكثير من العوامل في ضوء فهمنا لنظام الكون والأنظمة الحيوية المتخصصة للأنواع المختلفة.

كما أن التصميم الذكي قابل للتخطئة من فرضياته الأساسية، أن التعقيد في الكون وفي الأنظمة الحيوية غير قابل للاختزال، وأن هذه التعقيدات متخصصة، هذه الفرضيات ليست فقط قابلة للدحض، بل ولم يتم دحضها، وثبت صحتها، فبالتجريب على الكثير من الأنظمة الحيوية ثبت أن غياب جزء واحد فقط عن أي نظام حيوي يجعله يتوقف تمامًا عن أداء وظيفته[1].

يقول عالم الكيمياء الحيوية د.مايكل بيهي: "الآن، لا يمكن للمرء أن يكون في كلا الاتجاهين، لا يمكن للمرء أن يقول كل من: إن التصميم الذكي غير قابلة للتخطئة (أو غير قابلة للاختبار) وأن يقول أيضًا إن هناك أدلة ضده، إما أنه لا يمكن تخطئته ويطفو بهدوء على الجانب الآخر للتخطيء التجريبي، وإما أنه يمكن انتقاده على أساس ملاحظاتنا، ومن ثم هو قابل للاختبار، وحقيقة أن المراجعين الناقدين يدفعون الحجج العلمية ضد التصميم الذكي (سواء بنجاح أم لا) تدل على أن التصميم الذكي هو في الواقع قابل للتخطئة".

---

(١) انظر: اتجاهات في تفسير التنوع الحيوي، د. منى أبو بكر زيتون، مقال منشور على منصة مقال كلاود بتاريخ ٠٤ أبريل ٢٠١٧م، https://www.makalcloud.com/post/dx390oivo

وعلى هـذا، فـإذا كـان هنـاك نظريـة لا يمكـن اختبـار فرضـياتها، وليست لها أي قيمة تفسيرية، وتحيل إلى المجهـول؛ فهـي التطـور ولـيس نظرية التصميم الذكي.

الاعتراض الخامس: **أن التصميم الـذكي ليسـت البـديل الوحيـد لنظرية التطور**.

يرى الدراونة أن الآليات الطبيعية (الماديـة) ليسـت قـاصرة عـلى نظرية التطور فقط، فبفرض عدم قدرة نظرية التطور على تفسير بعـض الظواهر، فليس البديل هو نظرية التصميم الـذكي فقـط، فهنـاك آليـات أخرى تشبه الانتخاب الطبيعي مثل نظرية الأكوان المتوازية أو المتعددة[1]، وهنـاك أيضًـا انتخـاب طبيعـي دارويـني للأكـوان ضـمن العـالم المتعـدد الأكوان[2].

وملخص هذه الفرضية أن الكون الذي نحن فيه ليس هو الكون الوحيد الموجود في الوجود وإنما هناك احتمال لوجود أعداد ضخمة جدا من الأكوان اللانهائية بحيث يمكن أن يفسر هذا الكم الهائل من الضبط الدقيق الذي عليه الكون الذي نحن فيه، فمن بين هذا الكم الهائـل مـن

---

(١) انظر: إعادة المحاكمة: القصة الخفية لقضية دوفر، د. مايكل بيهي، ص٧٧.
See: CHRISTIAN C. YOUNG AND MARK A. LARGENT, EVOLUTION AND CREATIONISM: A DOCUMENTARY AND REFERENCE GUIDE, P 280

(٢) انظر: وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ص١٤٨.

الأكوان سيوجد حتما واحد منها مضبوط على النحو المطلوب، وعلى هذا فاللجوء للتصميم الذكي غير لازم.

يقول الفيزيائي الملحد ستيفن هوكينج (ت:٢٠١٨م): "إن الضبط الدقيق في قوانين الطبيعة يمكن تفسيره بوجود الأكوان المتعددة، والعديد من الناس على مر العصور قد أرجعوا إلى الله جمال تعقيد الطبيعة التي لم يمكن بها أي تفسير علمي فى عصرهم، لكن مع قيام داروين ووالس بشرح كيف أن ما يظهر كتصميم معجز لأشكال الحياة يمكنه أن يظهر دون تدخل أي موجود فوقي، فإن مفهوم تعدد الأكوان يمكنه أن يفسر الضبط الدقيق للقانون الفيزيائي دون حاجة لوجود خالق محسن يقوم بخلق الكون لمصلحتنا"[1].

وكذلك فقد استخدم ريتشارد دوكنز هذه الفكرة في كتابه "وهم الإله" في الجواب على لغز الضبط الدقيق لهذا الكون[2].

---

(١) التصميم العظيم، إجابات جديدة على أسئلة الكون الكبرى، ستيفن هوكينج، ليوناردو مولدينوو، ترجمة: أيمن أحمد عياد، دار التنوير، ط١، ٢٠١٣م، ص١٩٨، وانظر: المصمم الأعظم؛ قراءة نقدية في كتاب التصميم العظيم للبروفسور ستيفن هوكنج، د.حسن بن احمد اللواتي، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط١، ٢٠١٧م، ص٩٠.

(٢) انظر: وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ص١٤٨، شموع النهار، عبد الله العجيري، ص٢٤١.

ولقد تعرضت هذه الفرضية إلى نقض عنيف لافتقارها إلى الأدلة العلمية التي تؤيدها.

يقـول اللاهـوتي فرانـك تـورِك: "اضـطر الملحـدون للجـوء إلى استنتاج غريب ليتيحوا للصدفة فرصة أكبر، ويطلق على استنتاجهم هذا نظرية الأكوان المتعددة.

وتقول نظرية الأكوان المتعددة بوجود عدد لا نهائي من الأكوان، وكل ما في الأمر أن حُسْن حظنا هو من وضعنا في كون يحوي الظـروف المناسبة...

ولكن تفسير الأكـوان المتعـددة ملـئ بمشـكلات متعـددة؛ أولهـا وأهمها أنه لا دليل عليه! ... فلم يلحظ أحـد أي أدلـة عـلى وجـود هـذه الأكـوان، لـذلك فكـرة الأكـوان المتعـددة هـذه ليسـت أكثـر مـن فبركـة ميتافيزيقية، قصة خيالية من قصص الجنيات تقوم على إيمان أعمى، وهي منفصلة عن الواقع"[١].

ويضيف تورِك أنه حتى لو أمكن وجود أكوان أخرى، ستتطلب ضبطًا دقيقًا لكي تبـدأ مـثلما بـدأ كوننـا، لـذلك افـتراض وجـود أكـوان متعددة لا يلغي وجود مصمم، بل يزيد من ضرورة وجود مصمم.

---

(١) لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، نورمان ل جايسلر، فرانك تورِك، ص١٢٠، ١٢١، وانظر: العلم ودليل التصميم في الكون، مايكل بيهي، وليام ديمبسكي، ستيفن ماير، ص٧٠، ٧١.

ويصف تورك هذه الفرضية بأنها مجرد محاولة يائسة لتجنب تداعيات التصميم، وهي لا تُزيد الصدف، بل تُزيد العبث، وهي كلام فارغ وعبثيتها الواضحة تكشف قوة الأدلة على التصميم[1].

ويقول د.مايكل بيهي: "رغم الابتكار الواضح فيها إلا أنها تعاني صعوبات جوهرية، فليس لدينا أي دليل على وجود كون آخر غير كوننا، بالإضافة إلى أن العوالم الممكنة بحكم تعريفها لا يمكن الوصول إليها، فلا دليل على وجودها"[2].

ونقل بيهي عن كليفورد لونجلي أنه قال: "استخدام فرضية الأكوان المتعددة لتجنب أطروحة التصميم الإلهي كثيرًا ما تكون دفاعًا استثنائيًا ويأسًا ميتافيزيقيًا"[3].

وبهذا يتضح بطلان فرضية الأكوان المتعددة التي طرحت كبديل عن الصدفة المباشرة فيما يتعلق بنشأة الكون، إذ أنها تفترض الإيمان بعدد لا نهائي من الأكوان كي ينتج منها كون متزن ومن ثم يصلح للحياة، بخلاف الخلق الذي يتضمن الإيمان بخالق واحد مدبر حكيم، خلق هذا الكون.

---

(١) انظر: لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، نورمان ل جايسلر، فرانك تورِك، ص١٢١.
(٢) العلم ودليل التصميم في الكون، مايكل بيهي ص٧٢.
(٣) العلم ودليل التصميم في الكون، مايكل بيهي ص٧٥.

خاتمة:
نظرية التصميم الذكي في ضوء العقيدة الإسلامية

مع اعتبار نظرية التصميم الذكي شكل معاصر من أشكال دليل النظم، وإمكانية الاستفادة من نتاج منظريها العقلي في نقد حالة الإلحاد الموغلة في المادية التي انتشرت في العصر الحالي، وبالأخص في ردودهم على الدراونة، إلا أنه يؤخذ على المنظرين لهذه النظرية عدة أمور، منها:

١- تجنب الحديث عن ما أسموه ب"مصمم ذكي" وصفاته بحجة أن تحديد المصمم أمر يخرج عن قدرة العلم.

جزمت حركة التصميم بوجود خصائص وملامح في الكون والحياة لا يمكن تفسيرها إلا بوجود ما أسموه بمصمم ذكي، والعلم التجريبي بمقدوره الكشف عن وجود صنعة متقنة في الكون، والتي تستدعي وجود مصمم.

فحركة التصميم الذكي تنسب نشأة الحياة وتنوعها إلى مصمم ذكي مجهول لا تحدده هذه النظرية لا بدين ولا غيره، غير أنها تدحض الصدفة والعشوائية.

حتى إن هذه النظرية لا تشير إلى أن هناك **مصممًا واحدًا** لجميع الموجودات في الكون - أو لجميع الأنظمة المعقدة التي لا تعمل إلا بوجود جميع أجزائها-، بل **تقتصر** على التأكيد على وجود موجودات

متقنة (أنظمة معقدة) تدل على وجود تصميم ذكي لكل نظام منها على حدة، لا يمكن تكونه عن طريق طبيعة عشوائية.

ونتسائل ما نتيجة الإيمان بأن هناك تصميمًا ذكيًا في العالم؟ إن الأديان بعد بناء عقيدة الألوهية ترتب عليها باقي العقائد والشرائع من عبادات ومعاملات.

كما أن الأديان تنظر إلى الله عز وجل على أنه خالق مبدع عليم قدير، وليس مصممًا فقط، فالقدرة على التصميم دون الخلق لا تزيد على كونها نوعًا من المهارة الهندسية التي لا تتناسب مع العلم الإلهي المطلق والقدرة الشاملة، ولا تتوافق مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

وأصل الاختلاف مع الملاحدة إنما هو في إثبات احتياج الكون إلى خالق، وضرورة وجود الخالق من حيث هو.

أما الصفات فإن دليل النظم يدل دلالة ضرورية على صفات متعددة من صفات الخالق، فهو يدل بالضرورة على صفة **الحياة**؛ إذ الخلق لا يمكن أن يحدث من ميت أبدًا، ويدل بالضرورة على صفة **العلم**؛ لأن العقل لا يتصور أن الخلق المتقن والفعل المحكم المبهر يمكن أن يقع

---

(١) سورة النحل : آية ٤٠.

(٢) سورة يس : آية ٨٢.

مع الجهل، ويدل بالضرورة على صفة **الإرادة**؛ فإن العقل لا يتصور أن التصميم الموجود في الخلق وروعة الإبداع فيه والاختصاصات التي خص بها كل موجود يمكن أن تتحقق من غير وجود إرادة واختيار، ويدل بالضرورة على صفة **القدرة** التامة؛ فإن العقل لا يتصور أن صنع هذا الكون الفسيح بمجراته العظيمة ونجومه وكواكبه الكبيرة يمكن أن يقع مع العجز.

لذلك كان من السهل على منظري التصميم الذكي السير في الدليل حتى يصلوا إلى الإله وصفاته كما وصل غيرهم ممن استخدم دليل النظم أو غيره من الأدلة لولا اعتمادهم الكلي على العلم التجريبي.

٢- يؤخذ على أنصار التصميم الذكي الاعتماد الكلي على العلم التجريبي في إدراك الحقائق الوجودية الكبرى.

ذكرنا تجنبهم الحديث عن المصمم وصفاته بحجة أن تحديد المصمم أمر يخرج عن قدرة العلم التجريبي.

ومن المعلوم أن العلم ليس المصدر الوحيد للمعرفة، فالنظريات العلمية ظنية لا توفر اليقين التام، وليست نهائية بل تتغير وفقًا للملاحظات المستقبلية، وهذا امتداد للنزعة العلموية القائمة على أن العلم يستطيع أن يكفي الإنسانية في كل ما تحتاجه من المعارف وغيرها، غير أن هذه النزعة بدأت تفقد مصداقيتها حتى في الغرب، لقصور العلم التجريبي عن تلبية جميع احتياجات الإنسانية، **وعجزه** عن إدراك الحقائق

الوجودية الكبرى، وإثبات الحقائق الرياضية والتاريخية والأخلاقية، لأنه توظيف للعلم في غير محله.

يقول الفيزيائي إيرون شرودنغر[1] في تعداد الأمثلة التي لم يستطع العلم الإجابة عنها: "إن الصورة التي يرسمها العلم للعالم الحقيقي حولي صورة ناقصة جدا، صحيح أنه يقدم حشدا ضخما من المعلومات الواقعية، ولكنه يسكت سكوتا فاضحا عن كل ما هو قريب إلي قلوبنا، بل ما يهمنا حقا إنه لا يستطيع أن يقول لنا كلمة واحدة عن الحمرة والزرقة، عن المرارة والحلاوة، عن الألم الجسدي واللذة الجسدية، ولا هو يعرف شيئا عن الجمال والقبح، عن الخير والشر- أو عن الله والأزلية، صحيح أن العلم يدعي أحيانا أنه يجيب عن أسئلة في هذه المجالات، إلا أن الأجوبة هي في الأغلب علي قدر من السخف لا نميل معه إلى أخذها مأخذ الجد"[2].

---

(١) إيرون شرودنغر(١٨٨٧-١٩٦١م): فيزيائي نمساوي درس في الأكاديمية النمساوية، وفي عام ١٩٢٦م نشر أبحاثه الأربعة التي أسست لمعادلة الحركة في ميكانيكا الكم والتي سميت باسمه فيما بعد، وحصل بسببها علي جائز نوبل في الفيزياء عام ١٩٣٣م. انظر: أوهام الإلحاد العلمي، هل تتعارض الكشوفات العلمية مع الإيمان بالخالق، د.محمد باسل الطائي، مركز دلائل، ط٢، ١٤٣٩هـ، ص٨٦.

(٢) العلم في منظوره الجديد، روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو، ترجمة د.كمال خلايلي، سلسلة عالم المعرفة العدد رقم ١٣٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بالكويت، ١٩٨٩م، ص١٢٤.

ويقول المؤرخ الأمريكي رونالد سترومبرج: "وقد نجم انتشار الثقة بالعلم عن بأن العلم هو الذي يكشف الغطاء عن الصورة الصحيحة للحقيقة إذ أنه يرتكز إلي قواعد ثابتة تجعله بمنأى عن الخطأ وأن وسائل المعرفة الأخرى كالميتافيزيقا والدين أمست وسائل بالية لا خير فيها ولا نفع ... ولكن الثقة بالعلم بدأت بالتداعي في منعطف القرن إذ أخذ العلم بمواجهة مفارقات عاصفة على حدود الميتافيزيقا"(١).

كما أن هناك أمورًا أصبحت من المسلمات العلمية دون أن تدرك بالحس والتجربة، وإنما اعتمدوا في إثباتها علي إدراك الآثار المترتبة عليها مثل:

قانون **الجاذبية** فهو ليس من القوانين التجريبية التي يمكن التحقق منها في المعمل، وإنما أثبت من خلال آثاره المشاهدة في الكون، وكذلك **الإلكترون** فهو لم يدرك بالتجربة وإنما أثبت وجوده ووصف بالعلمية نتيجة لإدراك آثاره، وكذلك الحال في **نظرية التطور** فهي لم تدرك بالتجربة بمعنى؛ أنه لم يوجد ولا مثال واحد رأينا فيه انتقال الحيوان من الجنس الأدنى إلى الجنس الأعلى ولا يمكن إثبات ذلك

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبرج، ص٥٠٩.

تجريبيًا وإنما كان الاعتماد في إثباتها على ما يدعي أنه آثار للتطور في المتحجرات وغيرها ... "[1].

ونحن إذ نوافق حركة التصميم في قصور العلم التجريبي عن إدراك الحقائق الوجودية الكبرى، نؤكد أنه **لا بد من انضمام مفاهيم عقلية أخرى تنضم إلى التجارب والمشاهدات والملاحظات** لإثبات وجود الله سبحانه وتعالى، كبعض المبادئ والأحكام العقلية كمبدأ العلية، أو مبادئ أخرى يقيمها العقل ويلاحظ سدادها (الأحكام العادية) أي الحكم القطعي المستفاد من الملاحظات وتكرارها على العقل، مما يدفع العقل إلى القول بأن هناك سببًا ألف بينها، لاستحالة قيامها على هذا النحو وحدها، وعلى هذا فالعقل لا بد ان يتكئ على معقولات ضرورية ونظرية تضاف إلى ملاحظة الحس والتجربة، ليقيم المستدل دعائم دليله عليها.

وقد انتقد الشيخ مصطفى صبري من يعتمد على مجرد الأدلة التجريبية في إثبات وجود الله، وذكر أنه لابد من انضمام بعض المقدمات العقلية لإتمام الدليل، والتجريب لا يفيد إلا الوقوع، لا الوجوب، والمقصود الأهم في إثبات الله هو وجوبه لا مجرد وجوده.

"وفي الحقيقة لو اجتمعت تجارب الدنيا على مسألة ما أفادت معنى فوق أن تكون تلك المسألة ثابتة متحققة الوقوع، أما كونها ضرورية

---

(١) انظر: الله يتجلي في عصر العلم، لنخبة من العلماء الأمريكيين ص١٣٦، و: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص٤٣.

مستحيلة الخلاف فخارج عن حدود التجربة متعال عن أن يكون مدلولها، فلا يُجرب الوجوب والضرورة، أو بالأصح: لا يُعلمان بالتجربة"[(١)].

٣- كما يؤخذ على أنصار التصميم الذكي نظرتهم إلى المُصمم باعتباره جوهرًا؛ حيث قالوا إن: "**المصمم**: جوهر ذكي ينظم البنى المادية للوصول إلى هدف..."[(٢)]

ومن المستحيل عقلًا أن يكون الله عز وجل جوهرًا، لأن الجوهر فى عُرفِ المتكلمين من أهل السنة هو الجزء الذى تناهى فى الصِغَر مع التحيز إلى حدٍ أنه لا يقبل الانقسام، والله منزه عن ذلك.

ولأن الجوهر محتاج إلى الحيز، والمحتاج ممكن، والله تعالى منزه عن الإمكان.

ولأنه المتحيز الذي لا ينقسم، فلا يخلو عن الحركة والسكون، فيكون حادثًا والله تعالى متعالٍ عن ذلك.

وقد رد أئمة المتكلمين على من ذهب إلى أن الله جوهر وأحالوا ذلك، يقول الإمام الجويني: فصل في الدليل على استحالة كون الرب تعالى جوهرا والتنصيص على نكت في الرد على النصارى

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، الشيخ مصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ٢/ ٢٦٣ وانظر ٢/١٠٦.

(٢) انظر: تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص٣٩٥.

" الجوهر في اصطلاح المتكلمين هو المتحيز، وقد أوضحنا الدليل على استحالة كون الباري تعالى متحيزا، وقد يحد الجوهر بالقابل للأعراض، وقد تبين استحالة قبول الباري سبحانه وتعالى للحوادث، ومن وصف الباري تعالى بكونه جوهرا، قسم الكلام عليه، وقيل له: إن أردت بتسميته جوهرا اتصافه بخصائص الجواهر، فقد سبقت الأدلة على استحالة ذلك عليه، وإن أردت التسمية من غير وصفه بحقيقته وخاصيته، فالتسميتان تتلقى من السمع؛ إذ العقول لا تدل عليها، وليس يشهد لهذه التسمية دلالة سمعية، ولا يسوغ في شيء من الملل التحكم بتسمية الباري تلقينا.

وذهبت النصارى إلى أن الباري -سبحانه وتعالى عن قولهم- **جوهر**، وأنه ثالث ثلاثة، وعنوا بكونه جوهرا أنه أصل للأقانيم، ... ثم هذه الأقانيم هي الجوهر عندهم بلا مزيد، والجوهر واحد والأقانيم ثلاثة[1].

ولكن يتعين التنبيه على أن تصور قضايا مثل هذه المواضيع يتأثر تأثرًا مباشرًا بخلفية الفرد الدينية وتجربته الروحية، ونظرًا لاختلاف مشارب أنصار تلك الحركة؛ فبعضهم اقترح أن يكون هذا المصمم هو

---

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للإمام الجويني، تحقيق محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٥٠م، ص٤٦، ٤٧.

الله وافترض صحة قصّة الخلق كتفسير لنشأة العالم كما وردت في سفر التكوين من الكتاب المقدس.

وبعضهم يقترح مصممًا غير معروف...، إذ قد يكون مخلوقًا فضائيا كما صرح بذلك الرياضي ويليام ديمبسكي، بعد تحيره في عدد من الإشكالات في نصوص العهدين القديم والجديد.

٤ – كما يؤخذ عليهم عدم الوصول إلى توافق حول كيفية ظهور البشر.

فهم متوافقون حول ضرورة الذكاء في تفسير أصل نشأته بغض النظر عن العملية التي ظهر من خلالها الإنسان.

فإذا كان الدراونة يصرحون بأن ظواهر الكائنات الحية توحي بالتصميم، وأن مظاهر التصميم مُوهمة؛ لأن الآليات التطورية – كالانتخاب الطبيعي – كافية لتفسير التعقيد المشاهد في الكائنات الحية.

فإن أنصار حركة التصميم الذكي يجادلون خصومهم بأن العمليات التطورية غير الموجهة من قبل ذكاءٍ ما غير قادرة على إنتاج المواهب الفكرية، أو الأخلاقية[1].

---

(١) انظر: تصميم الحياة، ويليم ديمبسكي، جوناثان ويلز ص٥٢.

٥- تبني بعض أنصار النظرية لبعض المبادئ الأساسية في فرضية التطور.

حيث تعتبر فكرة السلف المشترك فكرة بدهية في فرضية التطور، فالدراونة يرون أن هناك خلية واحدة ظهرت بالصدفة ثم تكاثرت لتظهر العديد من الخلايا دون أن يكون هناك تصميم أو ذكاء خلف هذا الكائن الحي.

وقد حاول بعض المنظرين للتصميم الذكي التوفيق بين التصميم الذكي وآلية عمل التطور مع التأكيد على عجز التطور عن تفسير التعقيد الحيوي في بعض الظواهر كالتركيب والدقة في نظام الأجسام وأجزاءها التي يستحيل أن توجد بالانتخاب الطبيعي.

فعالم الكيمياء الحيوية د.مايكل بيهي، المؤيد للتصميم الذكي، وصاحب مصطلح "التعقيد غير القابل للاختزال"، لا ينكر فكرة "السلف المشترك" الداروينية بل ذكر أنه مقتنع بها في كتبه، فهو يرى: أن مصممًا ذكيًا كان يتدخل في عملية التطور ليضيف أعضاء وتراكيب غير قابلة للاختزال لم يكن من الممكن أن تنشأ تدريجيا.

فمساحة عمل التطور الدارويني(أي العمليات العشوائية الغير موجهة) كما يرى بيهي محدودة جدًا، وليست هي السبب في وجود الأجناس المختلفة، وليست كذلك هي السبب في حدوث التعقيد

واكتساب الكائنات وظائف حيوية جديدة، ويقول إن كل هذا نتاج تصميم ذكي.

يقول د.مايكل بيهي:" إنني أجد فكرة السلف المشترك- كل الكائنات ذات سلف مشترك- مقنعة بشكل مقبول وليس لدي سبب معين للشك فيها، أحترم جدا عمل زملائي الذين درسوا تطور الكائنات وسلوكها ضمن إطار تطوري، وأعتقد بأن علماء البيولوجيا التطورية قد أسهموا بشكل واسع في فهمنا للعالم، رغم أن الآلية الداروينية- الاصطفاء الطبيعي المعتمد على الاختلاف- قد تشرح العديد من الأشياء، لكنني لا أعتقد أنها تفسر الحياة الجزيئية، كما أنني لا أعتقد أيضًا أنه من المفاجئ أن العلم الجديد الخاص بالأشياء الصغيرة جدًا سيغير الطريقة التي ننظر بها إلى الأشياء الأقل صغرًا"[1].

لكن سبق أن ذكرنا أن الاتجاه السائد لدى أنصار التصميم الذكي يعيبون على الدراونة استغلالهم لبعض التشابه بين الكائنات الحية في إثبات الأصل المشترك، وكان الأولى بهم إرجاع هذا التشابه إلى المصمم المشترك لا السلف المشترك[2].

---

(١) صندوق داروين الأسود: تحدي الكيمياء الحيوية لنظرية التطور، د.مايكل بيهي، ص٢٣.

(٢) انظر: تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص١٩٦، و: التطور نظرية في أزمة، مايكل دانتون، ص١٨٧، و: لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد،

كما أن أنصار التصميم الذكي ذكروا محل النزاع الحقيقي مع الدراونة بالتفريق بين ما يسمى بالتطور الصغير(التكيف أو التغيير البسيط في صفات النوع الواحد) والتطور الكبير(نشوء نوع جديد من نوع آخر)، فقد استعمل الدراونة لعقود طويلة أمثلة على التطور الكبير وهي في الحقيقة ضمن دائرة التطور الصغير، كما بين أنصار التصميم الذكي تلاعب الدراونة بالمصطلحات بذكرهم للعديد من الشواهد والأدلة علي التطور الصغير دون الكبير بشكل يشتت التركيز ويصرف الانتباه عن نقاط الضعف في نظريتهم(١).

يظهر مما سبق: **قبول** بعض علماء التصميم الذكي لفكرة "السلف المشترك" الداروينية، **واتفقهم** على **رفض** فكرة "الانتخاب الطبيعي غير الموجه اللاغائي"، **ورفض** الصدفة في تفسير نشأة الكون، **ورفض** العشوائية في تفسير نشأة أنواع جديدة من أنواع أخرى، والتأكيد على ضرورة الغائية والذكاء في تفسير نشأة الكون.

وختامًا؛ نؤكد ما ذكرناه سابقًا بأنه يمكن أن يستفاد من نتاج حركة التصميم الذكي العقلي في نقد حالة الإلحاد الموغلة في المادية التي انتشرت في العصر الحالي.

نورمان ل جايسلر، فرانك تورك، ص١٦٤، العلم وأصل الإنسان، آن جوجر، دوجلاس إكس، كيسي لسكين، ص٢٠.

(١) انظر: تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ص٢٢، ١٥٥، و: التطور نظرية في أزمة، مايكل دانتون، ص٧٠، و: أيقونات التطور، علم أم خرافة، جوناثان ويلز، ص٥، ٦.

أهم المصادر والمراجع

١. أبيقور مؤسس المدرسة الأبيقورية، كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
٢. الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة، د.سعيد عبداللطيف فودة، منشورات الأصلين، ط١، ٢٠١٦م.
٣. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للإمام الجويني، تحقيق محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٥٠م.
٤. أسرار التنزيل وأنوار التأويل، الإمام الرازي، تحقيق محمود أحمد محمد، بابا علي الشيخ عمر، صالح محمد عبدالفتاح، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
٥. أسس غائبة، ٢٥ مسألة في مشكلة الشر مع مدخل تعريفي بأشهر الردود الغربية والتعليق عليها، أحمد حسن مركز دلائل، ط١، ١٤٣٩هـ.
٦. الإسلام ونظرية التطور، د.محمد أحمد باشميل، دار الفتح للطباعة بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.
٧. الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان، ط دار المختار الإسلامي بالقاهرة، ط٦، ١٩٧٦م.

٨. إعادة المحاكمة: الداروينية في قفص الاتهام، أحمد يحي، مركز براهين، ط٢، ٢٠١٦م.
٩. إعادة المحاكمة: القصة الخفية لقضية دوفر، جون بول، د.مايكل بيهي، ترجمة: سارة بن عمر، ط١، ٢٠١٧م.
١٠. إقصاء العقل عن الحياة...النتائج المريرة، سعد الغري، دار ومضات للترجمة والنشر ط١، ٢٠١٨م.
١١. أقوي براهين د.جون لينكس في تفنيد غلطات منكري الدين، أحمد حسن، مركز دلائل بالرياض، ط١، ١٤٣٧هـ.
١٢. الإلحاد في الغرب، د.رمسيس عوض، سينا للنشر بالقاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
١٣. الإلحاد والاغتراب، بحث في المصادر الفلسفية للإلحاد المعاصر، باترك ماسترسون، ترجمة هبة ناصر، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ط١،٢٠١٧م.
١٤. الإله الذي لا أفهمه عندما ننتظر أن يتكلم الله، كريستوفر ج هـ رايت، ترجمة هدي بهيج، دار الثقافة.
١٥. الانتواع الخادع: خرافة ملاحظة التغير التطوري على نطاق واسع، كيسي لسكين، ترجمة د.سلام المجدوب، د.محمد القاضي، دار الكاتب بالإسماعيلية، ط١، ٢٠١٦م.

١٦. أوهام الإلحاد العلمي، هل تتعارض الكشوفات العلمية مع الإيمان بالخالق، د.محمد باسل الطائي، مركز دلائل، ط٢، ١٤٣٩هـ.
١٧. أيقونات التطور: علم أم خرافة، جوناثان ويلز، ترجمة د.موسى إدريس، د.أحمد ماحي، د.محمد القاضي، دار الكاتب بالإسماعيلية مصر، ط١، ٢٠١٤م.
١٨. الإيمان بالخالق والعلم: اقتباسات موثقة لمشاهير العلماء في العصر الحديث، جوردون ليدنر، ترجمة مركز دلائل ط٢٠١٧،١م.
١٩. الإيمان في عصر التشكيك، تيموثي كَلِر، ترجمة سعيد فارس باز، أوفير للطباعة، ط١، ٢٠١٠م.
٢٠. بداية اللانهاية: تفسيرات تغير وجه العالم، ديفيد دويتش، ترجمة دينا أحمد مصطفى، مراجعة مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٦م.
٢١. تاريخ الفكر الأوروبي الحديث (١٦٠١-١٩٧٧م)، رونالد سترومبرج، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، ط٣، ١٩٩٤م.
٢٢. تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم رايت، ترجمة محمود أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١م.
٢٣. تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف، مصر، ط٥.
٢٤. تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة

والنشر بالقاهرة ١٩٣٦م.

٢٥. تاريخ الفلسفة، أميل بريهيية، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

٢٦. تاريخ الفلسفة، فردريك كبلستن، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للثقافة، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٧. تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ديكارت، ترجمة د. كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م.

٢٨. التدبير الإلهي: الأساس العلمي لعالم منطقي، بول ديفز، ترجمة محمد الجورا ، دار الحصاد بدمشق، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٩. تصميم الحياة، اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية، د.ويليام ديمبسكي، د.جوناثان ويلز، ترجمة د.مؤمن الحسن، د.محمد القاضي، د.موسي إدريس، دار الكاتب بالإسماعيلية مصر، ط١، ٢٠١٤م.

٣٠. التصميم الذكي: فلسفة وتاريخ النظرية، د.ستيفن ماير، ترجمة محمد طه، عبد الله أبو لوز، مركز براهين، ط١، ٢٠١٦م

٣١. التصميم العظيم، إجابات جديدة على أسئلة الكون الكبرى، ستيفن هوكينج، ليوناردو مولدينوو، ترجمة: أيمن أحمد عياد، دار التنوير، ط١، ٢٠١٣م.

٣٢. التطور الموجه بين العلم والدين، د.هشام عزمي، دار الكاتب، ط١، ٢٠١٦م.
٣٣. التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا؟، د.عرفان يلماز، ترجمة رشا حسن، محسن هريدي، دار النيل بالقاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
٣٤. التطور نظرية في أزمة، مايكل دانتون، ترجمة د.آلاء حسكي، د.مؤمن الحسن، مهند التومي وآخرون، مركز براهين، ط١، ٢٠١٧م.
٣٥. التفسير الكبير، للإمام الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٣٦. التمييز بين العلم واللاعلم، د.محمد أحمد السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م.
٣٧. توقيع في الخلية: الدنا وأدلة التصميم الذكي، د.ستيفن ماير، ترجمة: د.آلاء حسكي، د.أسامة إبراهيم، د.محمد القاضي، مهند التومي وآخرون، مركز براهين، ط١، ٢٠١٧م.
٣٨. الجديد في الانتخاب الطبيعي، ريتشارد دوكينز، ترجمة د.مصطفى إبراهيم فهمي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م.
٣٩. جذور الفكر المادي، د.عبد المعطي محمد بيومي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٣م.

٤٠. الحرية في الفلسفة اليونانية، محمود مراد، دار الوفاء بالإسكندرية، ط١، ١٩٩٩م.
٤١. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، نهضة مصر، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٥م.
٤٢. الحكمة في مخلوقات الله عز وجل، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ٢٠٠٠م.
٤٣. خرافة الإلحاد، د.عمرو شريف، نيو بوك للنشر والتوزيع بالقاهرة، ط٧، ٢٠١٧م.
٤٤. الخلاصة اللاهوتية، توما الأكوينيّ، ترجمة: الخوري بولس عواد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
٤٥. الداروينية الجديدة "صانع الساعات الأعمى"، ريتشارد دوكنز، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمى، دار العين للنشر القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.
٤٦. دراسات في العقيدة الإسلامية والأخلاق، تأليف لجنة من قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر، للفرقة الأولى للكليات المستحدثة، المطابع الأميرية، ٢٠١٥م.
٤٧. دراسات في الفلسفة الحديثة، د.محمود حمدي زقزوق، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٨٥م.
٤٨. دراسات في الفلسفة المعاصرة، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، بدون.

٤٩. دراسات في علم الكلام الجديد، حسن يوسفيان، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ٢٠١٦م.
٥٠. دروس فلسفية في شرح المنظومة، مرتضى مطهَّري، ترجمة مالك مصطفى وهبي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٢م.
٥١. دروس في الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى، أ.د/ سمير حامد محمد عبدالعال، بدون، ٢٠١٩م
٥٢. الدفاعيات المجردة، كيف تساعد الباحثين والمتشككين للوصول إلى الإيمان، أليستر ماجراث، ترجمة ماريانا كتكوت، الناشر Rzim middle east، 2013م.
٥٣. دليل أكسفورد للفلسفة، تد هوندرتش، ترجمة نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير ليبيا، ٢٠٠٣م.
٥٤. الدليل الكوني علي وجود الله، مقالات من البحوث الغربية المعاصرة عن الله في فلسفة الدين، د. سعيد فوده، وبلال النجار، دار الأصلين، ط١، ٢٠١٦م.
٥٥. الدين الطبيعي، جاكلين لاغريه، ترجمة: منصور القاضي، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر بيروت، ١٩٩٣م.
٥٦. الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، د.محمد عثمان الخشت، دار قباء بمصر، بدون.

٥٧. رحلة عقل، وهكذا يقود العلم أشرس الملاحدة إلي الإيمان، د.عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠١١م.
٥٨. الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية، الشيخ حسين الجسر، تقديم عصمت نصار، دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني ببيروت،٢٠١٢م.
٥٩. رسالة إلى أهل الثغر، الإمام الأشعري، تحقيق عبد الله شاكر محمد الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ٢٠٠٢م.
٦٠. رسائل الكندي الفلسفية، رسالة في الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد، للكندي، تحقيق محمد عبدالهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد مصر،١٩٥٠م.
٦١. رواد الفلسفة الأمريكية، موريس تشارلز ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية، مصر، ١٩٩٦م.
٦٢. الزمان والأزل: مقال في فلسفة الدين، ولتر ستيس، ترجمة د. زكريا إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م.
٦٣. الشفاء(الإلهيات)، لابن سينا، تحقيق سعيد زايد قنواتي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م.
٦٤. شموع النهار: إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي، عبد الله بن صالح العجيري، مركز تكوين بالرياض.

٦٥. صندوق داروين الأسود: تحدي الكيمياء الحيوية لنظرية التطور، د.مايكل بيهي، ترجمة: د.مؤمن الحسن، د.أسامة إبراهيم، د.زيد الهبري، وآخرون، دار الكاتب بالإسماعيلية، ط١، ٢٠١٤م.
٦٦. الصنع المتقن، دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، مركز دلائل بالرياض، ط٢، ١٤٣٨هـ.
٦٧. ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د.سلطان عبدالرحمن العميري، دار تكوين بالرياض ط٢، ٢٠١٨م.
٦٨. العالم إرادة وتخيل، شوبنهور، جمع هذه النصوص أحمد معوض في كتابه شوبنهور، الدار العربية لنشر الثقافة العالمية، ط١، ١٩٦٠م.
٦٩. العقائد الكبرى بين حيرة الفلاسفة ويقين الأنبياء، د.محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠١٠م.
٧٠. العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، للجويني، تحقيق: محمد زاهد الكوثرى، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٢م.
٧١. العلم في منظوره الجديد، روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو، ترجمة د.كمال خلايلي، سلسلة عالم المعرفة العدد رقم ١٣٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بالكويت، ١٩٨٩م.

٧٢. العلم قيد المحاكمة "قضية التطور"، دوجلاس فوتويما، ترجمة أحمد فوزي، مراجعة فتح الله الشيخ، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٢م.
٧٣. العلم وأصل الإنسان، آن جوجر، دوجلاس إكس، كيسي لسكين، ترجمة د.مؤمن الحسن، د.موسي إدريس، دار الكاتب بالإسماعيلية مصر، ط١، ٢٠١٤م.
٧٤. العلم والدين، آيان بربور، ترجمة بهاء الدين خرمشاهي، مركز النشر الجامعي، ط٢، ١٩٩٥م.
٧٥. العلم ودليل التصميم في الكون، مايكل بيهي، وليام ديمبسكي، ستيفن ماير، ترجمة رضا زايدان، دار تكوين بالرياض، ط١، ٢٠١٦م.
٧٦. الفتح الرباني والفيض الرحماني، عبد القادر الجيلاني، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بدون.
٧٧. فصل المقال وتقرير مابين الحكمة والشريعة من الإتصال، ضمن مجموع بعنوان فلسفة ابن رشد، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
٧٨. فصوص الحكم، للفارابي، ط١٩٤٩م.
٧٩. الفكر الأوربي في القرن الثامن عشر، بول هازار، تحقيق محمد غلاب، دار الحداثة، ط٢، ١٩٨٥م.

٨٠. فلسفة الدين، إدجار شيفلد برايتمان، ترجمة عماد الدين عبدالرازق، دار التيسير بيروت، ٢٠١٥م.
٨١. الفلسفة الرواقية، د. عثمان أمين، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م.
٨٢. فلسفة العصور الوسطى، د.عبد الرحمن بدوي، مطبعة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٦٩م.
٨٣. فلسفة ليبنتز، قدرية إسماعيل، رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٦٩م.
٨٤. قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين، زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٩٣٦م.
٨٥. قصة الفلسفة الحديثة، د.زكي نجيب محمود، أحمد أمين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ط١، ١٩٣٦م.
٨٦. القضية...الإيمان، لي ستروبل، ترجمة حنا يوسف، مكتبة دار الكلمة بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
٨٧. القضية...الخالق، لي ستروبل، ترجمة سليم اسكندر، حنا يوسف، مكتبة دار الكلمة، ط٢، ٢٠١٣م.
٨٨. القول السديد في علم التوحيد، الشيخ محمود أبو دقيقة، تحقيق أ.د/ عوض الله حجازي، مكتبة الإيمان، ط١، ١٩٩٥م.

٨٩. كانط والبراهين اللاهوتية (بطلان الحجة على عدم وجود الكائن الواجب)، روبرت آندرو آرييل، تعريب هبة ناصر، مقالة بمجلة الاستغراب خريف ٢٠١٧م.
٩٠. كانط وفلسفته النظريّة، د محمود فهمي زيدان، دار المعارف ط٣، ١٩٧٩م.
٩١. الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، ضمن مجموع بعنوان فلسفة ابن رشد، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
٩٢. لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، نورمان ل جايسلر، فرانك تورك، ترجمة ماريان كتكوت، دار الإخوة للنشر بالقاهرة، ط١، ٢٠١٧م.
٩٣. لماذا أؤمن: إجابات منطقية عن الإيمان، بول ليتل، ترجمة وجدي وهبه، دار الثقافة بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
٩٤. لماذا نحن هنا؟! تساؤلات الشباب حول الوجود والشر والعلم والتطور، إسماعيل عرفة، مركز دلائل، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ.
٩٥. اللمع فى الرد على اهل الزيغ و البدع، الإمام الأشعري، تحقيق حمودة غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥م.
٩٦. الله خالق الكون، دراسة علمية حديثة للمناهج والنظريات المختلفة حول نشأة الكون ومسألة الخالق، جعفر الهادي، مؤسسة الإمام الصادق، قم، ١٤٢٤هـ.

٩٧. الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، تحقيق: فؤاد كامل، مكتبة غريب بالقاهرة، ١٩٧٣م.
٩٨. الله في فلسفة القديس توما الأكويني، ميلاد ذكي غالي، منشأة المعارف بالاسكندرية، ط١، ١٩٩٨م.
٩٩. الله يتجلي في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، أشرف على تحريره جون كلوفر مونسيما ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: د.محمد جمال الدين الفندي، دار القلم بيروت.
١٠٠. مجموعة الردود على الخوارج (فلاسفة المسلمين(المعروف بالخلاصة ضد الكفار، توما الأكوينيّ، ترجمة: نعمة الله أبي كرم الماروني، مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية (لبنان)، ١٩٣١م.
١٠١. محاضرات في الإلهيات للسبحاني، تلخيص علي الرباني، مؤسسة النشر الإسلامي.
١٠٢. محاورات في الدين الطبيعي، هيوم، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، مكتبة القاهرة الحديثة، ط١، ١٩٥٦م.
١٠٣. محاورة القوانين لأفلاطون، ترجمها عن اليونانية للإنجليزية تيلور، ونقلها للعربية حسن ظاظا، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

١٠٤. محاورة تيماوس لأفلاطون، قدم لها: ألبير ريفو وعربها: فؤاد جرجي بربارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق، ١٩٦٨م.
١٠٥. محاورة فيليبوس، لأفلاطون، ترجمة فؤاد بربارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق، ١٩٧٠م.
١٠٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي بيروت، ط٢، ١٩٧٣م.
١٠٧. مدخل إلى فلسفة الدين، د.محمد عثمان الخشت، دار قباء، مصر، ٢٠٠١م.
١٠٨. مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، ط١، ١٩٧٥م.
١٠٩. مسعى البشرية الأزلي، الله لماذا؟ كارن آرمسترونج، ترجمة د.فاطمة نصر، د.هبه محمود عارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ط١، ٢٠١٠م
١١٠. مشكلة الألوهية د.محمد غلاب، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٧م.
١١١. مشكلة الشر، لدانيال سبيك ترجمة سارة السباعى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦م.

١١٢. المصمم الأعظم؛ قراءة نقدية في كتاب التصميم العظيم للبروفسور ستيفن هوكنج، د.حسن بن احمد اللواتي، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط١، ٢٠١٧م.

١١٣. معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.

١١٤. مقال عن الميتافيزيقا، ليبنتز، ترجمة نبيل رشاد سعيد، ضمن رسالته للماجستير التي بعنوان: "فلسفة الطبيعة عند ليبنتز"، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٨م، ص١٦٨.

١١٥. المقدمة في فلسفة الدين، أديب صعب، دار النهار، بيروت، ١٩٩٥م.

١١٦. مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علما، إيمانويل كنت؛ ترجمة الدكتورة نازلي إسماعيل حسين، مراجعة د. عبد الرحمن بدوي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.

١١٧. المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام الغزالي، دار الجيل، بدون.

١١٨. ملحق الموسوعة الفلسفية، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١١٩. الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت، لبنان.

١٢٠. من خلق الله؟ البحث في نظرية كل شيء، أدكار أندروز، ترجمة هدى بهيج، مركز مورغان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤م.
١٢١. المواقف في علم الكلام، عضد الدين الإيجي، عالم الكتب، بدون.
١٢٢. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.
١٢٣. موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤م.
١٢٤. موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات بيروت- باريس ط٢، ٢٠٠١م.
١٢٥. موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، الشيخ مصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
١٢٦. المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، ليبنتز، ترجمة: عبدالغفار مكاوي، دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٧٨م.
١٢٧. النجاة، لابن سينا، تقديم ماجد فخري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
١٢٨. نظرية التطور الدارونية: خرافة باسم العلم، طالب الجنابي، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

١٢٩. نقد العقل العملي، إمانويل كانط، ترجمة غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ط١، ٢٠٠٨م.
١٣٠. نقد العقل المحض، عمانوئيل كنط، ترجمة موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت ط١، ١٩٨٨م.
١٣١. نقد وهم الإله، غرور النقد وإغراق الصنمية العلمانوية، عبد اللطيف الحرز، دار الفارابي بيروت، ط١، ٢٠١٦م.
١٣٢. نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، أوغسطين- أنسيلم- توما الأكويني، ترجمة وتقديم وتعليق د.حسن حنفي حسنين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م.
١٣٣. وهم الإله، ريتشارد دوكينز، ترجمة بسام البغدادي، مؤسسة البغدادي، ط٢، ٢٠٠٩م.

الفهرس